أبرز قضايا الخلاف الكلامية

بين

شيخ الإسلام ابن تيمية والسيد محمد رشيد رضا

«دراسة تحليلية»

إعداد الباحث

عاطف مصطفى محمد أبوزيد

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد...

فالعقيدة الإسلامية هي الدين القيم، والفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهى في سموها وجلالها وتآخيها مع العقل، واستنهاضها لأولى الألباب، ولفتها الأنظار إلى آيات الأنفس والآفاق... تعبر بجلاء عن النبوة الخاتمة والرسالة العامة التي بعث بها النبى محمد ﷺ، وفى نور هذه العقيدة يأتى هذا الموضوع (**أبرز قضايا الخلاف الكلامية بين شيخ الإسلام ابن تيمية والسيد محمد رشيد رضا - دراسة تحليلية**).

وكان من أسباب اختيارى لهذا الموضوع ما يلى:

١- إظهار مدى الخلاف بين شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد رشيد رضا فيما يخص بعض المسائل العقدية المتعلقة بالنبوة والجن والملائكة وغيرها.

٢ - الرغبة في تقييم هذه الرؤى، وهل كانت تتسم بالمنهجية والاتساق والإحكام والترابط، ومدى الالتزم بنصوص الشريعة والسير على مقرراتها، ومدى مخالفتها، ولا شك أن في ذلك إحياء حقيقيا لتراثنا من أجل إعادة تشكيله وتغيره نحو الأفضل بما ينفع البشرية في عصرنا الحاضر والمستقبل.

٣ - التحقق من مدى تأثر الشيخ محمد رشيد رضا بأفكار المعتزلة في بعض القضايا الكلامية.

فلهذه الأسباب وبعد استخارة المولى عَزَّوَجَلَّ استعنت بالمولى عَزَّوَجَلَّ واخترت هذا الموضوع.

أما عن صعوبات البحث فإنها تتمثل في سعة علم ابن تيمية والشيخ محمد رشيد رضا ودقة فهمهم، كما أن انتشار مادة البحث في جمهرة كتب الشيخين يزيد البحث صعوبة أخرى.

هذا وقد اعتمد الباحث في دراسته (**لأبرز قضايا الخلاف الكلامية بين ابن تيمية والشيخ رشيد رضا**) على المناهج الآتية:

❁ **التحليلي والنقدي**: وذلك لما تقتضيه طبيعة البحث حيث يلزم تحليل أفكار ابن تيمية والشيخ رشيد رضا ونقدها، وترجيح ما يراه الباحث أمثل وأصوب، وإضافة إلى ذلك اعتمد الباحث على المنهج المقارن، وذلك حتى يتضح المعنى في الذهن، ونرى مقدار التأثير والتأثر، ونقف على مواطن الأصالة والابتكار والتجديد أو المتابعة والتقليد، مع مراعاة النقاط الآتية:

١- الرجوع إلى المصادر الأساسية والمعتمدة لابن تيمية والشيخ رشيد رضا مع الاستعانة بالمراجع الحديثة استئناسا للرأى أحيانا، ولتوضيح رأى أو فكرة اكتنفها الغموض أو الإبهام في مصادرها الأصلية أحيانا أخرى.

٢- الوقوف على جل مسائل الخلاف الكلامية بين ابن تيمية والشيخ محمد رشيد رضا، مع التحلى بالتجرد والنزاهة والحيدة، والوقوف بجانب الحق دائمًا دون التحيز لرأى أو فكرة، أو التعصب لمذهب أو عقيدة.

٣- الترجمة الموجزة لمن تطلب الأمر الترجمة له من الأعلام الواردة في ثنايا البحث.

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة و تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة على النحو التالى:

المقدمة – وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وصعوبات البحث ومنهج الباحث فيه.

التمهيد - ويشتمل على التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الأول - الجدل بين ابن تيمية والشيخ محمد رشيد رضا فيما يتعلق بالنبوة والرسالة والوحي، ويشتمل على مطلبين:

-المطلب الأول - النبوة والرسالة. - المطلب الثاني - الوحي.

المبحث الثاني - مدى الاختلاف بين ابن تيمية والشيخ رشيد رضا في خوارق العادات، ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول - المعجزة. - المطلب الثاني - السحر.

المبحث الثالث - المسائل الخلافية بين ابن تيمية والشيخ محمد رشيد رضا المختصة بالملائكة والجن والشياطين، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول - الملائكة.

- المطلب الثاني - الجن.

- المطلب الثالث - الشياطين.

المبحث الرابع - الجدل بين ابن تيمية والشيخ محمد رشيد رضا فيما يختص بأمارات الساعة، ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول - المهدي المنتظر.

- المطلب الثاني - الدجال.

الخاتمة - وبها أهم النتائج والتوصيات.



تَمهيد

ويشتمل على التعريف بمصطلحات البحث

* التعريف بشيخ الإسلام ابن تيمية.

* التعريف بالشيخ محمد رشيد رضا.



تمهيد
التعريف بمصطلحات البحث

من الضروري أن نلقى نظرة على المفردات التي حملها البحث في دلالته الكلية، ونظرا لأن العنوان سهل بين، فإن تناول الباحث لكل مفردة سيكون موجزًا لوضوحه.

أولًا - التعريف بابن تيمية :

اسمه ونسبه:

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن على بن عبد الله ابن تيمية الحرانى الدمشقى الحنبلى[١].

موله ونشأته:

ولد بحران[٢] يوم الاثنين العاشر أو الثاني عشر من ربيع الأول لعام ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م.

نشأ في بيت حمل لواء المذهب الحنبلى أكثر من قرن من الزمان تعاقبت فيه رجاله

---

(١) انظر: ابن كثير «البداية والنهاية»: جـ١٤، ص ١٤١، مكتبة المعارف بيروت ط: سادسة١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، وانظر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى: «الوافى بالوفيات»، تحقيق / أحمد الأرناؤوط، تركى مصطفى جـ٧ ص ١٥، دار إحياء التراث العربى- بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٣٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، وانظر: ابن شاكر الكتبى: «فوات الوفيات»، تحقيق د/ إحسان عباس ج١ ص٧٤، دار صادر بيروت، طبعة عام ١٩٧٤م، وانظر: محمد بن أحمد بن عبد الهادى (ت ٧٤٤هـ): «العقود الدرية في مناقب ابن تيمية»، تحقيق محمد حامد الفقى ص ٢٦- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون، وانظر: الزركلى «الأعلام»، دار العلم للملايين- ط. سادسة ١٩٨٤م.

(٢) حران بتشديد الراء - بلدة بين دجلة والفرات بناها هارون أخو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فسميت باسمه ثم عربت، دخلها الإسلام أيام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: ياقوت الحموى - معجم البلدان، ج٢، ص ٢٧١، دار صادر - بيروت - طبعة عام ١٩٧٩م.

على زعامة المذهب، قضى بحران ست سنوات، حمله أبوه بعدها وسائر أسرته إلى دمشق هربا من الغزو التترى، حيث أسند إليه مشيخة دار الحديث السكرية في القصاعين محل سكناه، كما أفرد إليه كرسى بجامع دمشق يدرس فيه.

وقد عاش تقى الدين فترة قلق سياسى حيث ضعف الخلافة العباسية، وتعدد الدويلات فيها، وتناحرأمراء المماليك على الحكم، وتقاسم الفاطميين الخلافة مع العباسيين، والهجوم التترى والصليبى على بلاد المسلمين، إلا أن هذا القلق السياسى لم يؤثر على علماء أهل السنة والجماعة فقد نشط التأليف الموسوعى.

جدير بالذكر أن شيخ الإسلام قد حفظ القرآن الكريم في بيت المشيخة الحنبلية، كما تعلم فيها أيضًا الحديث النبوى الشريف، فقد أولى دراسة القرآن والحديث عناية خاصة حيث قام بحفظه ومعرفة أقسامه وعلله، واتخذ منها منهجا في الرد على غيره من أهل المذاهب الأخرى، وكذلك في اجتهاداته وآرائه[١].

شيوخه:

تلقى شيخ الإسلام العلم على يد كثير من الأساتذة الفضلاء، فقد زاد عدد الشيوخ الذين سمع منهم على نحو مائتى شيخ من أبرزهم:

أحمد بن عبد الدائم المقدسى (ت ٦٦٨هـ)، وأبو زكريا سيف الدين يحى بن عبد الرحمن الحنبلى (ت ٦٦٩هـ)، وعبد الله بن عطاء الحنفى (ت٦٧٣هـ)، وزينب بنت أحمد المقدسية(ت ٦٨٧هـ)، وشمس الدين: أبو عبد الله محمد بن عبد القوى بن بدران المقدسى (ت ٦٩٩هـ)، وشمس الدين أبو العباس: أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى الحنفى (ت ٧١٠ هـ)، كما تلقى العلم على يد شيوخ آخرين.

(١) انظر: ابن كثير: «البداية والنهاية»، جـ١٤، ص ٨١.

تلاميذه:

جلس ابن تيمية للتدريس والإفتاء ولم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره، وقد نذر نفسه ووقته وحياته كلها لله تعالى تعليما ودعوة وجهادا في سبيله، وعالم كهذا من الصعب الإحاطة بتلاميذه، لا سيما وأن كتبه ومنهجه قد تحولا إلى مدرسة كبرى لها تلاميذها حتى يومنا هذا، ومن أبرز تلاميذه: عمر بن علي بن موسى بن خليل البغدادي البزار (ت ٧٤٩هـ)[١]، وابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)[٢]، وشمس الدين بن مفلح (ت٧٦٣هـ)[٣]، والحافظ ابن كثير(ت ٧٧٤هـ)[٤]... وغيرهم.

مؤلفاته:

من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على شيخ الإسلام ابن تيمية بقلم سيال، وبديهة حاضرة ومعلومات غزيرة، إضافة إلى سرعته في التحرير والكتابة، وبركة في الوقت حتى إنه يكتب في الجلسة الواحدة عدة كراريس.

وقد ذكر العلماء أنه من الصعوبة بمكان حصر مؤلفاته، قال ابن عبد الهادي (ت ٧٤٤هـ): «وللشيخ من المصنفات والفتاوى والقواعد والأجوبة والرسائل وغير ذلك من الفوائد مالا ينضبط، ولا أعلم أحدا جمع مثل ما جمع، ولا صنف نحو ما صنف ولا قريبا من ذلك»[٥].

وفيما يلي بيان بأبرز مؤلفات ابن تيمية:

---

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني: «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، جـ ٤، ص ٤٤٤، دار الكتب الحديثة - بدون.

(٢) انظر: ابن كثير «البداية والنهاية»: جـ ١٤، ص ٢٤٦

(٣) انظر ترجمته: ابن كثير«البداية والنهاية»: جـ ١٤، ص ٣٠٨.

(٤) انظر: ابن حجر العسقلاني: «الدرر الكامنة»، جـ ١، ص ٣٩٩.

(٥) ابن عبد الهادي: «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية»، ص ٢٦.

أولًا - في التفسير وعلوم القرآن:

❁ تفسير سورة الإخلاص[1].

❁ تفسير آيات أشكلت[2].

❁ مقدمة في أصول التفسير[3].

ثانيًا - في العقائد، وكتبه في العقائد كثيرة منها:

❁ كتاب الإيمان، استعرض فيه الفرق بين الإيمان والإسلام.

❁ النبوات[4].

❁ اقتضاء الصراط المستقيم.

❁ نقض أساس التقديس[5].

❁ القضاء والقدر[6].

❁ الرد على المنطقيين[7].

ثالثًا - في الفقه:

كتب ابن تيمية في الفقه آثارا جليلة، ولعل أغزر كتاباته كانت في الفقه نظرا لتعمقه فيه وإدراكه له، وعلمه بالآثار السلفية هو الذى أمده بعناصر عظيمة في أبواب الفقه، فكان تأثيره عليه كفقيه أكبر من تأثيره عليه كباحث في العقيدة، ومن آثاره التي تركها

---

(١) نشر ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن النجدى، وأيضا طبعت بتحقيق د/ عبد العلى حامد بالدار السلفية / الهند ١٤٠٦هـ.

(٢) طبع في ثلاثة مجلدات بتحقيق عبد العزيز بن محمد الخليفة، نشرته مكتبة الرشد بالرياض.

(٣) طبعت بتحقيق/ إبراهيم بن محمد بدار الصحابة للتراث بطنطا، سنة ١٤٠٩هـ.

(٤) طبع بتحقيق / محمد عبد الرحمن عوض - نشر دار الكتاب العربى - بيروت.

(٥) طبع في مجلدين بتصحيح / محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. طبع مؤسسة قرطبة.

(٦) ضمن مجموعة «الرسائل الكبرى» - طبعة محمد على صبيح بالقاهر، ة عام ١٣٨٥هـ.

(٧) طبع بباكستان، عام ١٣٩٦هـ.

فتاويه المختلفة التي كان بعضها في مصر وبعضها الآخر في الشام، وله قواعد جليلة في مسائل متشعبة، فوضع فيها ضوابط، يلتقى عندها المختلفون، ومن هذه القواعد: قواعد في الوقف والوصايا، وقاعدة في الاجتهاد والتقليد، وقاعدة في القياس...[(١)].

وفاته:

توفى ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق ليلة الاثنين ٢٠ من شهر ذى القعدة عام ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م، فهب كل أهل دمشق ومن حولها للصلاة عليه وتشييع جنازته رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء[(٢)].

ثانيًا - التعريف بالشيخ محمد رشيد رضا:

نسبه:

محمد رشيد بن على رضا بن محمد شمس الدين بن علي خليفة القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب[(٣)].

مولده:

ولد يوم الأربعاء في السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى عام ألف ومائتين واثنين وثمانين للهجرة، الموافق الثامن عشر من شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة ألف وثمانمائة وخمسة وستين ميلادية في قرية قلمون[(٤)].

---

(١) طبعت بتحقيق: محمد حامد الفقى ونشرتها مكتبة المعارف بالرياض.

(٢) انظر: ابن كثير «البداية والنهاية» جـ١٤ ص ١٤١.

(٣) انظر: الزركلى «الأعلام» جـ٦ ص ١٢٦، وانظر: «شكيب أرسلان»، «رشيد رضا» ص ٨١١، مطبعة ابن زيدون - دمشق، ط: أولى ١٣٥٦هـ.

(٤) قرية تقع على شاطئ البحر على بعد زهاء خمسة كيلومترات إلى الجنوب من طرابلس الشام. انظر: «ياقوت الحموى»، «معجم البلدان»: جـ٤، ص ٣٩١ - دار صادر بيروت (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م).

نشأته:

فى المحيط المتدين للأسرة بدأ رشيد رضا يتلقى دروس تعليمه الأولى بقريته «قلمون» على عادة عصره، فحفظ القرآن الكريم وتعلم الخط. وقواعد الحساب، ثم دخل المدرسة الرشدية بطرابلس، وهى مدرسة ابتدائية كان التعليم فيها باللغة التركية فمكث فيها سنة ثم تركها، ودخل بعدها المدرسة الوطنية الإسلامية وهى مدرسة أنشأها الشيخ حسين الجسر الأزهرى (١٨٤٥ - ١٩٠٩م)، وكان من العلماء الذين يميلون إلى الإصلاح، ويرون أن الأمة الإسلامية لا ترقى إلا بالجمع بين علوم الدين والدنيا على الطريقة العصرية الأوربية، فكانت تدرس فيها العلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والطبيعيات، ولكنه لم يلبث بها إلا قليلا ثم تركها؛ لأنها كانت مدرسة أهلية لا تكسبهم الرخصة في عدم دخول العسكرية، فدخل بعض المدارس الدينية بطرابلس...كما درس في بيروت، وانتهى به المطاف بعد أن درس علوم القرآن والحديث النبوى الشريف واللغة والفقه إلى نيل شهادة (العالمية) من طرابلس، بعد أن حصل على ما يشابه علوم الأزهر الشريف في مصر، وكان له أثناء الطلب مطالعة في كتاب الأغاني للأصفهاني وكتاب نهج البلاغة، وكتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي وقد أثر فيه حيث جعله يميل إلى الزهد والتقشف، وكان يفضل صلاة التهجد تحت الأشجار في بساتينهم الخالية، حيث وجد في البكاء من خشية الله، وتدبر كتاب الله في صلاة الليل لذة روحية قوية، وقد انتدب إمامًا بمسجد القرية الذي بناه جده فصار يؤم الناس فيه ويعظهم معتمدًا في دروسه على جمع أكبر عدد ممكن من الآيات في الموضوع الواحد، حتى صار لمواعظه أعظم الأثر، وأشد الوقع في النفوس، واختارمن كتب التفاسير أيسرها، على حين قام هو نفسه بدور كبير في شرح الآيات القرآنية واستخلاص العبر التي تفيد جمهور المستمعين منها، واستطاع في تلك الأيام الأولى من جهاده في سبيل الإصلاح أن يثبت قدرته على الاجتهاد في الفقه، الذي اعتبره مرتبة عالية من مراتب العلم الاستقلالي

بالأحكام الشرعية، وأنه هام وحيوي لإرشاد الناس لما فيه من الخير والهداية.

ولم يكتف الشيخ رشيد بمن يحضر دروسه في المسجد، فذهب هو إلى الناس في تجمعاتهم في المقاهي التي اعتادوا على الجلوس فيها، ولم يخجل من جلوسه معهم يعظهم ويحثهم على الصلاة، وقد أثمرت هذه السياسة المبتكرة، فأقبل كثير منهم على أداء الفروض والالتزام بالشرع والتوبة والإقبال على الله، وبعث إلى نساء القرية من دعاهن إلى درس خاص بهن، وجعل مقر التدريس في دار الأسرة، وألقى عليهن دروسًا في الطهارة والعبادات والأخلاق، وشيئًا من العقائد في أسلوب سهل يسير[(١)].

الرحيل إلى مصر وبداية عهد جديد:

عزم الشيخ على الرحيل إلى مصر ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م وهي السنة التي توفي فيها الأفغاني وكان قد نال شهادة التدريس العالمية من شيوخه بطرابلس، وكان والده يأبى عليه السفر، فلم يزل به حتى أراه وسمح له فسافر إلى مصر بطريق البحر من بيروت فوصل الإسكندرية مساء الجمعة الثالث من كانون الثاني سنة١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م ووصل القاهرة يوم السبت في الثامن عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٨٩٨م وفي ضحوة اليوم التالي ذهب إلى دار الشيخ محمد عبده في الناصرية لزيارته فقابله وصارحه القول في الغرض من هجرته إلى مصر، وأخذ يتردد على داره ويقابله الشيخ محمد عبده كل مرة مقابلة ود وإجلال، فتوثقت أواصل الأخوة والصداقة بينهما، ولم يكد يمضي شهر على نزوله القاهرة حتى صارح شيخه بأنه ينوي أن يجعل من الصحافة ميدانًا للعمل الإصلاحي، ودارت مناقشات طويلة بينه وبين الإمام الجليل حول سياسة الصحف وأثرها في المجتمع، وأقنع التلميذ النجيب شيخه بأن الهدف من إنشائه صحيفة

---

(١) انظر: الزركلي «الأعلام» جـ٦ ص ٣٦١، وانظر: عبد المتعال الصعيدى « المجددون في الإسلام» ص ٤٠٦، مكتبة الآداب بالقاهرة– بدون – وانظر: د/ محمد عمارة، «مسلمون ثوار» ص ٤٤٩، دار الشروق – ط: رابعة١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

هو التربية والتعليم، ونقل الأفكار الصحيحة لمقاومة الجهل والخرافات والبدع، وأنه مستعد للإنفاق عليها سنة أو سنتين دون انتظار ربح منها، فاستشاره في اختيار اسم المجلة التي يزمع إصدارها وقدم له عدة أسماء فوقع الشيخ عبده على اسم «المنار»(١).

شيوخه:

تتلمذ الشيخ محمد رشيد رضا في تعليمه على عدد من العلماء الأجلاء الذين تأثر بهم وكانت لهم بصمتهم البارزة على فكره، ومن هؤلاء الشيوخ:

١- محمد أبو المحاسن القاوقجي (١٨١٠-١٨٨٧م):

هو شمس الدين محمد بن إبراهيم القاوقجي، ولد بطرابلس عام ١٢٢٤هـ وتلقى علومه الابتدائية على مشايخها. ولما بلغ الخامسة عشر ربيعًا توجه إلى مصر طلبًا للعلم في الأزهر ومجاورًا فيه. ومكث في الأزهر سبعًا وعشرين سنة يتلقى العلوم الدينية، ثم عاد إلى طرابلس يدرس فيها ويعلم ويقيم حلقات الذكر. وقد تفقه ومهر في العلوم العقلية والنقلية. وبرع في علم الحديث والرواية، فقد وصفه رشيد رضا بقوله «كنت أتلقى عنه ما رواه من الأحايث المسلسلة وكتابه المعجم الوجيز في الحديث». وكان خطيبًا مفوّهًا ومنشئًا بليغًا وشاعرًا، قام بسياحة في القطر المصري وفي البلاد الحجازية والشامية، وتوفي في مكة وهو في زيارة الحج، وعمّر نيفًا وإحدى وثمانين سنة. ترك العديد من المؤلفات منها: (شرح حزب سيدي إبراهيم الدسوقي)، (المنتقى الأزهر على ملتقى الأبحر)، (اللؤلؤ المرصوع في الحديث الموضوع)، (تحفة الملوك في السير والسلوك)، (المقاصد السنية في آداب الصوفية)(٢).

---

(١) انظر: عبد المتعال الصعيدى «المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر الهجرى» ص ٤٠٦، ود/ محمد عمارة «مسلمون ثوار» ص ٤٥٠.

(٢) انظر: الزركلي «الأعلام» جـ٦، ص ٢٥٢، وانظر: د/ محمد عمارة: «مسلمون ثوار»، ص ٤٤٩.

٢- الشيخ محمود نشابة (١٨١٤- ١٨٩٠م):

هو محمود بن محمد بن عبد الدايم، نشأ في طرابلس وتعلم فيها ثم غادرها إلى الأزهر الشريف وجاور فيه إحدى عشرة سنة عاد بعدها إلى طرابلس في عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م بعد أن نال إجازات مشايخه العلماء، وقد ذهب إلى طرابلس لتدريس العلوم الشرعية والعقلية وتخرج على يديه كثيرون منهم مصطفى كرامي مفتي طرابلس الأسبق ثم ولده رشيد وكذلك العالم الشيخ عبد الفتاح الزعبي نقيب الأشراف. ترك الشيخ محمود عددًا من المؤلفات منها: (حاشية على متن البيقونية في مصطلح الحديث النبوي)، (حاشية على همزية البوصيري)، (الدر الثمين في أحكام تجويد الكتاب المبين).

وكانت وفاته في عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م، وكان لوفاته رنة حزن عميق أسفًا على علمه وأخلاقه[١].

٣- الأستاذ الإمام محمد عبده:

ولد في عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م بقرية «محلة نصر» مركز «شبراخيت» محافظة «البحيرة» بمصر لأسرة تمثلت ثروتها في كثرة رجالها، وتجسد جاهها في مقاومتها ظلم الحكام لعدة أجيال، وفى قريته تلقى تعليمه للقراءة والكتابة ثم شرع في حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره، وفى الجامع الأحمدى بطنطا تلقى دروس التجويد ثم بدأ أولى دروسه في التعليم الأزهرى بنفس الجامع[٢].

أطلق عليه رشيد رضا لقب الأستاذ الإمام وكان يؤمن بأن شيخه هو بقية رجال المسلمين، كما كان رشيد رضا متفقا في الغالب مع أستاذه في الفكر والرأى والخلق والعمل وكان يدافع عنه دفاع الابن عن أبيه عند تعرضه للخطر ويرد على منتقديه

---

(١) انظر: الزركلى«الأعلام»: جـ٦، ص ٢٥٢، وانظر: د/ محمد عمارة: « مسلمون ثوار»، ص ٤٧٠.

(٢) انظر: المرجع السابق.

وأيضا على الذين ينتقدون الأفغاني ويوجهون إليه التهم[١]، وكان التلميذ النابه شديد الإعجاب بشيخه، حريصًا على اقتفاء أثره في طريق الإصلاح، وتوثقت الصلة بينهما، وازداد تعلق رشيد رضا بأستاذه، وقوي إيمانه به وبقدرته على أنه خير من يخلف «جمال الدين الأفغاني، توفى عام ١٩٠٥م[٢].

٤- الشيخ حسين الجسر الأزهري (١٨٤٥ - ١٩٠٩م):

تأثر الشيخ محمد رشيد رضا بأسلوب أستاذه وشيخه العالم العلامة والحبر الفهامة الشيخ حسين الجسر في التعليم لأنه كان يسلك أسلوبا حديثا غير الأسلوب الأزهري يتوخى فيه السهولة ولا يعنى فيه بالمماحكات اللفظية، كما يعد هذا الشيخ من وجهة نظر تلميذه الوحيد في الجمع بين العلوم الإسلامية ومعرفة حالة العصر المدنية[٣].

وإذا كان الشيخ قد تأثر بشيوخه في الديار الشامية فقد تأثر أيضًا ببعض مؤلفات العلماء السابقين، فمن الكتب التي طبعت فكره وسلوكه بطابع متميز في المرحلة الأولى من حياته كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي فقد مال به إلى الزهد وسلكه في سلك الصوفية فأصبح واحدا من المريدين في «الطريقة النقشبندية»، واشتغل بالوعظ والإرشاد في قريته والقرى المجاورة لها حتى لقد كانت نزاهته التي يروح بها عن نفسه في القرى الجاورة مجالا لعظات يلقيها[٤].

---

(١) انظر: محمد رشيد رضا: «تاريخ الأستاذ الإمام»، جـ١، ص٩٩ دار المنار، جـ١، ط: ١ / ١٣٥٠ هـ، وانظر: محمد حسين الذهبي: «التفسير والمفسرون»، ص٢٤٢، دار الكتب الحديثة، ط: أولى ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

(٢) انظر: محمد حسين الذهبي: «التفسير والمفسرون»، ص٢٤٢.

(٣) انظر: محمد الفاضل بن عاشور: ص ١٧٠، ط: مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٠م.وعبد المتعال الصعيدي: «المجددون في الإسلام»، ص ٤٠٦.

(٤) انظر: محمد رشيد رضا: «مجلة المنار»، جـ١، ص١٩٩، وانظر: د/ محمد رجب البيومي: «النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين»، جـ٢: ص٣٥.

مؤلفاته:

بارك الله في عمر الشيخ الجليل وفي وقته رغم انشغاله بمجلة المنار التي أخذت معظم وقته، وهي بلا شك أعظم أعماله، فقد استمرت من ١٣١٦هـ / ١٨٩٩م إلى ١٣٥٤ هـ/ ١٩٣٥م، واستغرقت ثلاثة وثلاثين مجلدًا ضمت ١٦٠ ألف صفحة، فضلًا عن رحلاته التي قام بها إلى أوربا والآستانة والهند والحجاز، ومشاركته في ميادين أخرى من ميادين العمل الإسلامي، ومن الصعب حصر مقالاته وكتاباته الصحفية ومؤلفاته العلمية ونكتفى بذكر أبرزها فيما يلي:

أولًا - في التفسير وعلوم القرآن:

❁ تفسير المنار (استكمل فيه ما بدأه شيخه محمدعبده الذي توقف عند الآية (١٢٥) من سورة النساء، وواصل رشيد رضا تفسيره حتى بلغ سورة يوسف، وحالت وفاته دون إتمام تفسيره، وهو من أجل التفاسير).

❁ التفسير المختصر المفيد للقرآن المجيد[١].

ثانيًا - في أصول الدين:

❁ الوحي المحمدي.

❁ الخلافة أو الإمامة العظمى.

❁ يسر الإسلام وأصول التشريع العام[٢].

❁ شبهات النصارى وحجج المسلمين [٣].

---

(١) لم يتمه، وإنما أتمه محمد أحمد كنعان، وطبع بالمكتب الإسلامى سنة ١٩٨٤م.

(٢) تم طبعه في المنار عام ١٣٤٧هـ.

(٣) تم طبعه في المنار عام ١٣٢٢هـ.

ثالثا - في الفقه:

* (مناسك الحج) أحكامه وحكمه، وقد طبع في المنار عام ١٣٣٤هـ.
* الربا والمعاملات في الإسلام.

رابعًا - في الإصلاح وموضوعات متفرقة:

* حقوق النساء في الإسلام.
* الوحدة الإسلامية.
* مساواة الرجل بالمرأة، وأصلها مناظرة في الجامعة المصرية حول هذا الموضوع.
* محاورات المصلح والمقلد[١].
* كما قام بتحقيق مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية[٢].

وفاته:

كان للشيخ روابط. قوية بالمملكة العربية السعودية، فسافر بالسيارة إلى السويس لتوديع الأمير سعود بن عبد العزيز وزوده بنصائحه، وعاد في اليوم نفسه، وكان قد سهر أكثر الليل، فلم يتحمل جسده الواهن مشقة الطريق، ورفض المبيت في السويس للراحة، وأصر على الرجوع، وكان طول الطريق يقرأ القرآن كعادته، ثم أصابه دوار من ارتجاج السيارة، وطلب من رفيقيه أن يستريح داخل السيارة، ثم لم يلبث أن خرجت روحه الطاهرة في يوم الخميس ٢٣ جمادى الأولى ١٣٥٤هـ، الموافق ٢٢ أغسطس ١٩٣٥م، وكانت آخر عبارة قالها في تفسيره: «فنسأله تعالى أن يجعل لنا خير حظ منه بالموت على الإسلام»[٣].

---

(١) انظر: محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ٧، ص ٣٨٥، جـ١٠، ص ٣٥٠، جـ١١، ص ١٨٠، وانظر: «شكيب أرسلان »، «رشيد رضا»، ص ٨١١، ط: أولى- دمشق ١٩٣٧م.

(٢) نشر لجنة التراث العربى، خمسة أجزاء في مجلدين.

(٣) انظر: «الزركلى الأعلام»: جـ٦، ص ١٢٦، وانظر: د/ إبراهيم العدوى - رشيد رضا: «الإمام المجاهد»،

الصلة بين ابن تيمية ومحمد رشيد رضا:

بداية نقول: ليس هناك أى دليل على أن صاحب المنار عرف شيئا عن شيخ الإسلام ابن تيمية قبل وصوله إلى مصر، وأول مرة ذكر فيها ابن تيمية على لسان صاحب المنار كانت في مناسبة تقريظه لرسالتين من رسائل شيخ الإسلام هما «الواسطة بين الحق والخلق» و«رفع الملام عن الأئمة الأعلام»(١).

يقول السيد محمد رشيد رضا واصفًا شيخ الإسلام ابن تيمية: «...لقد كان الإمام أحمد ابن تيمية في عصره ناصر السنة وخاذل البدعة والمحيط. بعلوم الدين والمحيى اجتهاد المجتهدين، وكان جرد حسام قلمه لمحاربة البدع والدعوة إلى مذهب السلف لا سيما فيما يتعلق بالعقائد وأصول الدين، فحمل عليه بعض علماء التقليد الذين يرون معاشهم وجاههم بإرضاء العامة فخاضوا فيه كما خاضوا في الأئمة قبله..»(٢).

ويضيف قائلًا متحدثًا عن ابن تيمية وتلميذه ابن القيم: «كان هو وشيخه أعلم أهل الأرض بالكتاب والسنة، وعندى أنه لا يستغنى أحد يطلب علم الدين عن الإطلاع على كتبهما»(٣).

وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من أن السيد رشيد رضا لم يطلع على كل ما كتبه ابن تيمية إلا أنه من خلال ما قرأه واطلع عليه يرى أنها من أفضل ما كتب علماء الإسلام هداية وتحقيقا وانطباقا على الكتاب والسنة، كما يرى أن كتب ابن تيمية في الكلام تمتاز على كتب جميع المتكلمين؛ وذلك ببيان الفصل بين مذاهب الفلاسفة والمتكلمين على

ص ٢٨٢، ط: الدار المصرية للتأليف، وانظر: د/ أحمد الشرباصي - رشيد رضا: صاحب «المنار»، ص ٢١٣، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، بدون.

(١) انظر: محمد رشيد رضا: «مجلة المنار»، جـ٣، ص ٦٥١.

(٢) المرجع السابق جـ ٤، ص ٢٧٢.

(٣) المرجع السابق جـ ٦ ص، ١٤٠، وانظر: جـ٢٣، ص ٣٢١.

اختلاف فرقهم وتحرير دلائلهم وشبههم عليها، وبيان مذهب السلف الصالح المأخوذ من نصوص الكتاب والسنة، وفهم علماء الصحابة والتابعين وتابعى التابعين لها.

يقول رشيد رضا مبينًا مميزات كتب شيخ الإسلام: «وأشهد الله بأننى لم أجد في كتب أحد من علماء هذه الملة من أحاط بها أحاط به - يقصد ابن تيمية - من حفظ النصوص وأقوال الناس من المحدثين والمتكلمين والفلاسفة والمبتدعة... والوقوف على أدلتهم وتحقيقها، وتحرير الحق الذى كان عليه سلف الأمة وإقامة الحجة عليه»(١).

ويبدو أن الدكتور محمد عمارة في سبيل بلورة مشروع إسلامى يضم كل فئات المدارس الفكرية الإسلامية قد اعتبر الصحوة الإسلامية والحركة التجديدية في العصر الحديث بروادها الأفغانى ومحمد عبده والسيد محمد رشيد رضا إنما هي ثمرة لمشروع شيخ الإسلام ابن تيمية وفى ذلك يقول:

«هكذا غدا المشروع التجديدى لشيخ الإسلام ابن تيمية عاملا فاعلا في حركة الإحياء والإصلاح والتجديد الإسلامى في عصرنا الحديث وواقعنا المعاصر سواء منها الإصلاح الفكرى أو الإصلاح الحركى، ولقد استوت في ذلك سائر بلاد الإسلام من محمد عبده مهندس المشروع الإحيائى لليقظة الإسلامية الحديثة إلى رشيد رضا الذى حمل - المنار - فكر هذه اليقظة إلى مختلف بقاع العالم الإسلامى على امتداد نحو أربعين عاما إلى أئمة الإصلاح الإسلامى ببلاد المغرب الإسلامي»(٢).

---

(١) المرجع السابق: ج٣١، ص ١٢٢.

(٢) د/ محمد عمارة، «رفع الملام عن شيخ الإسلام»، مقال بجريدة صوت الأزهر، الجمعة ٥ رمضان ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

المبحث الأول

الجدل بين ابن تيمية والشيخ رشيد رضا فيما يتعلق بالنبوة والرسالة والوحي

ويشتمل على تمهيد ومطلبين:

* **تمهيد.**
* **المطلب الأول- النبوة والرسالة.**
* **المطلب الثاني- الوحي.**



تمهيد

يمثل مبحث النبوات أساسًا من أسس الإيمان حيث يجب الإيمان بجميع الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ دون تفريق بينهم، يقول تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:١٨٥].

وقد روى مسلم في (صحيحه) عن ابن عمر في حديث جبريل الذي سأل فيه الرسول ﷺ عن الإيمان فقال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[(١)].

فالإيمان بالأنبياء والمرسلين والكتب التي أنزلت والشرائع التي سبقت ركن من أركان الإيمان، وتمام هذا الركن هو الإيمان بأن ما أنزل على النبى ﷺ هو كمال الدين،وتمام النعمة والإسلام، وهو خاتم دعوات الأنبياء والمرسلين.

والإيمان بالأنبياء والمرسلين أساسى للإيمان بالله الذى نبأ وأرسل واصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس، كما أنه أساسي للإيمان بما نزل على الأنبياء والمرسلين شريعة في الدنيا، وإخبارًا عن مغيبات الآخرة.

وقد انحرف الكثير بسبب التفريق بين الرسل، حيث آمنوا ببعضهم وكفروا بالبعض الآخر اتباعًا للهوى والشيطان، فكان مآلهم الخسران؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ

(١) مسلم في «صحيحه»، كتاب «الإيمان» باب: (بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات القدرة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ) جـ١، صـ١٤٤، حديث رقم ٨.

بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]، فالمسلم هو من آمن بالرسل جميعًا من آدم إلى محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذه القضية محل اتفاق بين المسلمين جميعًا، حتى غدت من البدهيات المسلم بها. وهؤلاء الرسل الذين اصطفاهم الله هم خيار الناس وأفضلهم كما قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٧].

وهم مثل سائر الناس يأكلون ويشربون ويتزوجون ويكون لهم ذرية ويفرحون ويتألمون، ويجرى عليهم ما يجرى على البشر من الأمور التي لا تقدح في النبوة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةًۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد: ٣٨]. ولكن الرسل ينفردون عن سائر البشر بخاصية فريدة ،وهى تلقى الوحى من عند الله وإرسالهم للناس لتبليغهم ما أوحى الله به إليهم من الهدى ليسترشدوا به في حياتهم، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥][١].

كما أن الإيمان بالوحى واجب دل الكتاب والسنة والإجماع على وجوبه.

والباحث يتناول في هذا المبحث بعض الأمور المتعلقة بهذه المسألة لدى ابن تيمية والشيخ رشيد رضا وذلك فيما يلى:

(١) راجع د/ عبد الكريم نوفان عبيدات: «الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة»، ص ٣٥٥ – دار النفائس للنشر والتوزيع بالأردن، ط: أولى ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م.

المطلب الأول
النبوة والرسالة

حقيقة النبوة والرسالة:

اصطفى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بعض عباده لتبليغ وحيه إلى خلقه ليعملوا بها شرعه الله لهم، ويوضحوا ما قصرت عقولهم عن إدراكه.

وقبل أن نتكلم عن حقيقة النبوة والرسالة في الاصطلاح لابد أن نقف على المدلول اللغوى حتى يتضح لنا المراد بهما، وفيما يلي بيان ذلك:

المفهوم اللغوي لكلمة نبي:

جاء في (مختار الصحاح): (النبأ: الخبر، يقال نبأ، ونبأ، وأنبأ أى أخبر، ومنه النبى لأنه أنبأ عن الله تعالى)[١].

وفي (لسان العرب): (النبئ: المخبر عن الله؛ لأنه أنبأ عنه وهو فعيل بمعنى فاعل، والنبوة: الارتفاع، والنبى هو ما ارتفع من الأرض)[٢].

ويرى ابن تيمية أن النبوة «مشتقة من الإنباء، والنبى فعيل قد يكون بمعنى فاعل أى منبئ، وبمعنى مفعول أى منبأ، وهما هنا متلازمان، فالنبئ الذى ينبئ بما أنبأه الله به، والنبئ الذى نبأه الله، وهو منبأ بما أنبأه الله به، وما أنبأه الله به لا يكون كذبا، وما أنبأ به النبى عن الله لا يكون يطابق كذبا لا خطأ ولا عمدًا...»[٣].

---

(١) الرازي: «مختار الصحاح»: ص٦٤٤- دار القلم، بيروت - لبنان ١٩٧٨م.

(٢) ابن منظور: «لسان العرب»، جـ٢٠، ص١٧٢ وما بعدها، وانظر: ابن فارس «معجم مقاييس اللغة»، جـ١٤، ص٣٠ وما بعدها.

(٣) ابن تيمية: «النبوات»، ص ١٧٣ وما بعدها: «تصحيح الشيخ محمد حامد الفقى» بدون.

ويضيف قائلًا: ونفس النبوة تتضمن الخبر، فإن النبوة مشتقة من «الإنباء» وهو الإخبار بالغيب، فالنبى يخبر بالمغيب ويخبرنا بالغيب»[(١)].

وذكر الشيخ رشيد رضا أن (النبئ) المهموزة وصف من النبأ، وهو الخبر المفيد لما له شأن مهم، قال: ويصح فيه معنى الفاعل لأنه منبئ عن الله تعالى تعالى، ومعنى المفعول لأنه منبأ منه، والنبى(بالتشديد) أكثر استعمالا أبدلت الهمزة ياء، أو هو من النبوة وهى الرفعة والشرف[(٢)].

فيظهر من هذا موافقة الشيخ رشيد رضا في المعنى اللغوي لما عليه أهل اللغة وابن تيمية.

المفهوم الاصطلاحي لكلمة نبي:

عرف ابن تيمية النبى قائلًا: «هو الذى ينبئه الله، وينبئ بما أنبأه الله به... فإن لم يرسل إلى أحد يبلغه من الله رسالة فهو نبي»[(٣)].

بينما عرفه الشيخ رشيد رضا بأنه: «هو من أوحى الله إليه وحيا، فإن أمره بتبليغه كان رسولا، فكل رسول نبى، وما كل نبى رسول »[(٤)].

وقد اعترض على هذا التعريف بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج:٥٢]؛ لأنها تدل على أن كلا منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير[(٥)].

---

(١) ابن تيمية: «درء تعارض العقل والنقل»، تحقيق د/ محمد رشاد سالم جـ ١، ص ١٧٩، ط: أولى ١٤٠٣هـ.

(٢) انظر: رشيد رضا: «الوحى المحمدى» ص ٣٥، ط: سادسة (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).

(٣) ابن تيمية: « النبوات»، ص ١٧٢.

(٤) رشيد رضا: «الوحى المحمدى»، ص ٣٧.

(٥) انظر: القاضى عبد الجبار: «شرح الأصول الخمسة» - تحقيق د/ عبد الكريم عثمان ص٥٦٧، مكتبة وهبة - ط: ثانية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، وانظر: محمد الأمين الشنقيطى: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، جـ٥، ص ٧٣٥ ط: مكتبة ابن تيمية، بدون.

هذا وقد عرف النبى في موضع آخر بتعريف آخر قائلًا: «وأما في الاصطلاح فالنبى من أوحى الله إليه وأنبأه بما لم يكن يعلمه بكسبه من خبر أو حكم، يعلم به علما ضروريا أنه من الله عَزَّوَجَلَّ، والرسول نبى أمره الله بتبليغ شرع ودعوة دين وبإقامته بالعمل، ولا يشترط في الوحى إليه أن يكون كتابا يقرأ وينشر ولا شرعا جديدا يعمل به ويحكم بين الناس، بل قد يكون تابعا لشرع غيره كله...وجملة القول أن الرسول أخص في عرف شرعنا من النبى فكل رسول نبى ولا عكس»(١).

ويبدو من أول وهلة أن كون الرسول أخص من النبى هو المتفق عليه، لكن الخلاف في وجه هذه الخصوصية، وتعريف ابن تيمية السابق هو الأقرب، وقد اقترب منه صاحب (المنار).

وباستعراض الآراء لم نجد فرقا كبيرا بين مدرسة هذا البحث ومعاجم اللغة في تعريف لفظة (نبى) لغة، فجميع الآراء لا تخرج في اشتقاقها لهذه اللفظة عن المعانى الآتية:

- النبى: الذى هو الطريق، لأنهم الطرق الموصلة إلى الله تعالى.
- الإنباء: أى الإخبار، فالنبى مخبر عن الله تعالى.
- نبأ: بمعنى خرج؛ لأنه ما من نبى إلا وأخرجه قومه وآذوه.
- النبوة والنباوة: وهو العلو والارتفاع أو الشرف والرياسة لارتفاع منزلته وعلو شأنه، فمعنى النبى: العلى الرفيع المنزلة(٢).

---

(١) محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ ٩، ص ٢٢٥، وانظر: الإيجى: «المواقف»، ص٣٣٧، «المواقف»، مكتبة المتنبى بالقاهرة، بدون، وانظر: الآمدى: «أبكار الأبكار»، تحقيق د/ محمد أحمد المهدى، ص ٢١٤، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط: ثالثة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(٢) انظر: ابن تيمية: «النبوات»، ص٢٢١.

وجملة القول: فإن اللفظ يشمل هذه المعانى مجتمعة؛ لأن النبى إذا لوحظ فيه جانب التلقى فهو منبأ، وإذا لوحظ فيه جانب الإخبار فهو منبئ، وأما إذا لوحظ فيه مكانته في القوم قبل البعثة ومكانته مع ما أنبأ به بعد البعثة فهو المرتفع العالى شأن الهادى بين المهتدين، وإذا اعتبر المنهج الذى نبأ به فهو السبيل الهادي إلى طريق الرشاد.

المفهوم اللغوي لكلمة رسول:

يأتي في اللغة الإرسال والرسالة والرسول على معان متحدة أو متقاربة ويفهم منها التوجيه والانبعاث والإطلاق والإتيان بأمر على وجه الأناة والترفق.

جاء في لسان العرب: «الرسول مأخوذ إما من الرسل والرسلة: بمعنى الرفق والتؤدة، ومنه قولك افعل على رسلك أى على تؤدة ومهل، أو من الترسل: بمعنى الفهم والتوقر والتثبت، أو من الإرسال: بمعنى التوجيه، وقد أرسل إليه، والاسم: الرسالة والرسول والرسيل. أو الذى يتابع أخبار الذى بعثه أخذا من قولهم: «جاءت الإبل رسلا، أى متتابعة، وسمى الرسول رسولًا لأنه ذو رسالة»[١].

وقيل: إن الرسول «فعول بمعنى مفعول أى مرسل، فرسول الله الذى أرسله الله، فكذلك نبى الله هو بمعنى مفعول...أى الذى نبأه الله، وهذا أجود من أن يقال: إنه بمعنى فاعل... فإذا نبأه الله فهو نبى الله، سواء أنبأ بذلك غيره أولم ينبئه، فالذى صار به النبى نبيا أن ينبئه الله، وهذا ما يبين ما امتاز به عن غيره»[٢].

---

(١) انظر: ابن منظور: «لسان العرب»، جـ٣، ص ١٦٤٥ - مادة رسل.

(٢) ابن تيمية: «النبوات»، ص٢٢١ وما بعدها باختصار.

وقيل: إن الرسول «نبى أمره الله بتبليغ شرع ودعوة دين وبإقامته بالعمل، ولا يشترط في الوحى إليه أن يكون كتابا يقرأ وينشر ولا شرعا جديدا يعمل به ويحكم بين الناس، بل قد يكون تابعا لشرع غيره كله...وجملة القول أن الرسول أخص في عرف شرعنا من النبى فكل رسول نبى ولا عكس»(١).

وفيما يبدو للباحث أن كل هذه الاشتقاقات للكلمة فهى تؤيد المعنى وتتناسب معه؛ لأن الرسول يدعو إلى ربه برفق ولين وتؤدة، ويفهم المدعوين المراد من شرع الله ويوجه العباد إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهو يتابع أخبار المولى عَزَّوَجَلَّ لكى يبلغها للناس.

المفهوم الاصطلاحي لكلمة رسول:

عرف الرسول شرعًا بأنه: «هو الذى أرسل إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه»(٢).

وقيل - كما سبق - إن «الرسول نبى أمره الله بتبليغ شرع ودعوة دين وبإقامته بالعمل، ولا يشترط في الوحى إليه أن يكون كتابا يقرأ وينشر ولا شرعا جديدا يعمل به ويحكم بين الناس بل قد يكون تابعا لشرع غيره كله...وجملة القول أن الرسول أخص في عرف شرعنا من النبى فكل رسول نبى ولا عكس»(٣).

---

(١) محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ٩، ص ٢٢٥، وانظر: القاضى عبد الجبار: «شرح الأصول الخمسة»، تحقيق د/ عبد الكريم عثمان، ص٥٦٧، مكتبة وهبة - ط: ثانية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، وانظر: البغدادى- «أصول الدين» ص١٥٤ - ط: ثالثة، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨١.

(٢) ابن تيمية: « النبوات»، ص١٧٢.

(٣) محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ٩، ص ٢٢٥، وانظر: القاضى عبد الجبار «شرح الأصول الخمسة» ص٥٦٧، وانظر: البغدادى: «أصول الدين»، ص١٥٤، وانظر: فخر الدين الرازى، «مفاتيح الغيب»، جـ٢٣، ص ٤٨ وما بعدها، دار الغد - ط. اولى١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. - وانظر: الباجورى: «تحفة المريد على جوهرة التوحيد»، تحقيق الشيخ حسين مكى، ص ١٤٧ - ط: صبيح بالقاهرة، ١٣٧٤هـ.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المسألة – النبوة والرسالة – من المسائل المهمة في تاريخ البشرية لأنها الصلة بين السماء والأرض، كما أنها هي الوسيلة التي عرفت البشرية من خلالها ما يتعلق بعالم الغيب وما يجب على الخلق نحو خالقهم وهدايتهم إلى المنهج الحق الذى تقوم به حياتهم، ولتقوم الحجة على العباد وتنقطع الأعذار.

قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥]؛ لذا فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يصطفى بعض عباده لهذه المهمة فيمن عليهم بالنبوة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران:١٦٤].

ومن ثم يمكن القول بأن النبوة ليست شيئا يكتسبه الإنسان من ذات نفسه بعمل يعمله، إنما هي هبة من الله ولا يد للإنسان فيها ولا كسب ولا اختيار، ولا يستطيع الإنسان بأى جهد يبذله أن يكون نبيًا ولا رسولًا، قد يستطيع الإنسان أن يكون عالما أو مهندسًا أو نحو ذلك إذا أتى بالأسباب التي تؤدى إلى ذلك، ولكنه مهما بلغ من الإيمان لا يمكن أن يصل إلى مرتبة النبوة، وهذا فحوى ما أشار إليه ابن تيمية قائلًا: «إن النبوة يمتاز بها الأنبياء ويختصون بها، والله تعالى يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس وهو أعلم حيث يجعل رسالته»[١].

ويضيف رشيد رضا: «الرسالة فضل من الله تعالى يختص به من يشاء من خلقه، ولا يناله أحد بكسبه، ولا يتوسل إليها بسبب ولا نسب، على أنه لا يختص بهذه الرحمة

(١) ابن تيمية: «النبوات»، ص١٧٥.

العظيمة والمنقبة الكريمة إلا من كان أهلاً لها بها أهله هو من سلامة الفطرة وعلو الهمة وزكاء النفس وطهارة القلب وحب الخير والحق»[١].

ومن ثم يتبين أن النبوة مرتبة فوق مراتب البشر العاديين يخص الله بها من يشاء من عباده.

الفرق بين النبي والرسول:

رأي ابن تيمية: ذكر ابن تيمية نصا عزاه إلى ابن عباس قائلًا: «قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام - أى كان الناس كلهم على الإسلام - فأولئك الأنبياء يأتيهم وحى من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم لكونهم مؤمنين بهم، كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول»[٢].

فالنص السابق يبين أن الأنبياء مأمورون بالتبليغ، غير أن تبليغهم إنما يكون للطائعين من المؤمنين، أى أن مهمتهم والحالة هذه تكون مهمة المذكر بشئ معروف من قبل، وما جاء في النص من أن أهل القرون العشرة التي كانت بين آدم ونوحا كانوا على الإسلام يدل على أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو أول الأنبياء لم تكن نبوته بالمعنى الذى فهمه القائلون بالفرق بين النبى والرسول بل كان مبلغًا عن الله، وإلا فمن أى طريق أسلم الأقوام حتى جاءت رسالة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

كما أن النص السابق الذى سرده ابن تيمية قد حدد به فرقا جديدا بين الرسول والنبى حيث يذهب إلى أن كليهما موحى إليه وهو مبلغ عن الله، غير أن النبى يبلغ المؤمنين الطائعين وذلك بتذكيرهم بشرع الله حين تغشاهم الغفلة.، وينتهى شيخ الإسلام هنا إلى رأى محدد في هذه المسألة من ضرورة أن يكون النبى مبلغا عن الله حتى

---

(١) محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ٨، ص ٣٩ .

(٢) ابن تيمية: «النبوات»، ص ١٧٣.

تتحقق الغاية من البعثة، يكاد يلتقى مع ما قرره هنا ابن تيمية إنه يرى عدم اشتراط أن يكون الرسول صاحب شرع جديد، بل يمكن أن يكون داعية إلى شرع رسول سبقه، فإن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كان رسولا وكان على ملة إبراهيم حنيفا، وهنا يكون الفارق بين كل من النبى والرسول محصورا في طبيعة المبلغين، فمن كانت دعوته إلى المؤمنين تذكيرا وإقامة على طريق الحق كان نبيا، ومن اتسعت دعوته فشملت هؤلاء ثم تخطتهم إلى إنذار المعاندين والكافرين فهو نبى ورسول[١].

ومما يؤكد حقيقة ما ذهب إليه ابن عباس وتابعه على ذلك تقى الدين ابن تيمية أننا لو اشترطنا كتابا وشريعة جديدين لكل رسول لكان عدد الكتب موافقا لعدد الرسل وهذا لم يقل به أحد من العلماء.

رأي الشيخ رشيد رضا:

يرى رشيد رضا أن الرسول والنبى بينهما فرق هو نفس ما ذكره المتكلمون من حيث الخصوص والعموم، فكل رسول نبى ولا عكس في ذلك إذ الرسول هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه والنبى هو من لم يؤمر بالتبليغ[٢].

الرأي الراجح:

من خلال التعريف السابق للنبى والرسول فالذى يرجحه الباحث هو الرأى القائل بأن هناك فرقا بين النبى والرسول، فالرسول أخص من النبى؛ لأن الرسول والنبى قد اشتركا في أمر عام وهو النبأ، وافترقا في أمر آخر وهو الرسالة، وهذا القول الذى اختاره رشيد رضا هو المشهور وبه قال جمهور العلماء وعامة الأشاعرة وصححه القاضي عياض في كتابه (الشفاء).

---

(١) راجع: د/محمد عبد الستار:«أصول العقيدة الإسلامية»، ص ١٩٤وما بعدها.ط: ثالثة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

(٢) انظر: رشيد رضا:« الوحى المحمدى»، ص ٣٧.

يقول القاضي عياض في (الشفا): «الصحيح الذى عليه الجماء الغفير أن كل رسول نبى وليس كل نبى رسول»[١].

كما أن قول القائلين بالاتحاد بين النبى والرسول مردود عليهم؛ لأن الرسول والنبى وإن اتفقا في أن كلا منهما منبأ من الله وموحى إليه فهذا لا ينافى التغاير في حقيقة كل منهما على حدة، كما أن خطاب الله تعالى لنبيه محمد ﷺ لا يقتضى الاتحاد؛ لأن النبى عَلَيْهِ السَّلَامُ تجتمع فيه النبوة والرسالة، كما أن الاصطفاء بالنبوة سابق على الاصطفاء بالرسالة فلا يتم الاصطفاء بالرسالة إلا من تم اصطفاؤه بالنبوة، ويدل على ذلك عدة نصوص منها قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الزخرف: ٦].

وقال في حق سيدنا محمد ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] فهاتان الآيتان تشيران إلى أن النبوة تكون متحققة أولًا ثم يأتى بعدها الإرسال. ونستطيع أن نفهم أنه إذا مرت مدة على النبى يكون فيها مصطفى بالنبوة قبل أن يؤمر بالتبليغ يكون في هذه المدة بالنظر لواقع حاله نبيا لا رسولا، فإذا أمر بالتبليغ صار رسولًا نبيًا.

وجه الحاجة إلى النبي:

بداية نقول: إن النبوة ضرورة من ضرورات الحياة التي لا غنى عنها بحال من الأحوال، فحاجة البشر إلى الرسل من الأمور التي تحتاج إليها البشرية، حيث إنهم يوضحون ما قصرت دونه العقول وعجزت عن إدراك كنهه الأفهام فيما يحتاجونه في أنفسهم وفى علاقتهم بالآخرين، فكان لابد لحاجة الإنسان في نفسه وفى صلاته الاجتماعية من قانون يحفظ النظام ويحقق المطالب ويعقد الاجتماع، ولا يتحقق هذا إلا بالرسالة، ولذا يقول ابن تيمية: «الرسالة ضرورية للعباد لابد لهم منها، وحاجتهم

(١) انظر: القاضى عياض: «الشفاء»، جـ١، ص١٦١ ط. البابى الحلبى وأولاده، عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونور حياته، فأى صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور»[١]؟.فالأنبياء جميعا بعثوا لبيان ما يعجز العقل عن إدراكه، وما لا يهتدى العقل إلى معرفته، ولذا يقول ابن تيمية: «الأنبياء جميعا جاءوا بما تعجز العقول عن معرفته، ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه فهم يخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول»[٢].

ويضيف ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ قائلا: «ومن هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدى الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم... فأى ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير...[٣].

كما يذهب ابن تيمية إلى أن الرسل هم السفراء بين الله تعالى وخلقه لبيان ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم حيث يقول: »إن الله سبحانه جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، وتكميل ما يصلح لهم في معاشهم ومعادهم، وبعثوا جميعا بالدعوة إلى الله، وتعريف الطريق الموصل إليه وبيان حالهم بعد الوصول إليه»[٤].

فالحاجة ماسة إلى بعثة الرسل ليبينوا ما حارت العقول فيه، وعجزت عن معرفته وبيان ما يحدث لهم في الدار الآخرة من ثواب وعقاب.

---

(١)«مجموع الفتاوى»: جـ ١٩، ص ٩٣، وانظر: السفاريني: « لوامع الأنوار البهية»،جـ٢، ص ٢٥٩، وابن أبي العز: «شرح العقيدة الطحاوية»- تحقيق عبد الله التركي - شعيب الأرنؤوط. ص٦٥- مؤسسة الرسالة - ط: ثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٢)ابن تيمية: «مجموع الفتاوى»، جـ٢، ص ٣١٢.

(٣) ابن القيم: «زاد المعاد»، جـ ١، صـ٦٩.

(٤) المرجع السابق: جـ ١٩، ص ٩٥.

هذا وقد سلك الشيخ محمد رشيد رضا مسالك متعددة في بيان ذلك منها:

الأول - الإيمان بالغيب ورأس الإيمان بالغيب هو توحيد الله وصفاته وآياته الدالة على كماله وتنزيهه عن النقص، وما يجب من عبادته وشكره وذكره الذى هو أعلى ما تتزكى به النفس، وتتطهر من أدرانها، وتصل إلى الكمال المستعدة له بفطرتها، ويليه الإيمان بالملائكة، ومن أمور الغيب التي أخبر بها الأنبياء الجن والشياطين.

الثاني - الاعتقاد بالبعث وبقاء النفس بعد الموت، وأن لها حياة أخرى بعد الحياة الدنيا تتمتع فيها بنعيم أو تشقى فيها بعذاب أليم، وأن السعادة والشقاء في تلك الحياة الباقية معقودان بأعمال المرء في حياته الفانية سواء أكانت تلك الأعمال قلبية كالاعتقادات والمقاصد والإرادات أم بدنية كأنواع العبادات والمعاملات.

الثالث - وضع حدود وأصول للأعمال التشريعية المشار إليها، لا مجال للآراء والأهواء فيها لتكون جامعة للكلمة مانعة من التفرقة متبعة في السر والعلن[1].

ومن ثم يتبين أن ما ذكره الشيخ محمد رشيد رضا في بيان وجه الحاجة إلى الرسالة لا يخرج في فحواه عما ذكره ابن تيمية.

هل النبوة منحة أم مكتسبة :

وقع خلاف بين ابن تيمية والشيخ رشيد رضا من ناحية والفلاسفة من ناحية أخرى في هذه المسألة، وفيما يلي بيان ذلك بإيجاز:

أولًا - مذهب ابن تيمية وصاحب المنار :

ذهب ابن تيمية والشيخ محمد رشيد إلى القول بأنها هبة من الله يهبها لمن يشاء

---

(١) انظر: محمد رشيد رضا: «مجلة المنار»، م٥، ص ٤٧، ٣٢٩ - ط: «المنار» ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، وانظر له أيضا: «الوحي المحمدي»: ص ٣٧ وما بعدها، وانظر: محمد قطب: «ركائز الإيمان»، ص ٢٣٦ وما بعدها - دار اشبيليا ط. أولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م.

من عباده، ولذا يقول ابن تيمية: «إن النبوة يمتاز بها الأنبياء ويختصون بها، والله تعالى يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، فمن خصه بذلك كان له من الخصائص التي لا تكون لغيره ما يناسب ذلك، فيستدل بتلك الخصائص على أنه من أهل الاختصاص بالنبوة»[١].

ويضيف رشيد رضا قائلًا: «النبوة لا تنال بالاكتساب»[٢].

وتجدر الإشارة إلى أن ما ذهب إليه كل من ابن تيمية والشيخ محمد رشيد في هذه المسألة هو مسلك جمهور المتكلمين، ولذا يقول صاحب المواقف: «ولا يشترط في الإرسال شرط من الأعراض والأحوال المكتسبة بالرياضيات والمجاهدات في الخلوات والانقطاعات.. بل الله تعالى يختص برحمته من يشاء من عباده، فالنبوة رحمة وموهبة متعلقة بمشيئته فقط، وهو أعلم حيث يجعل رسالته»[٣].

ويقول صاحب (المقاصد): «فالحق أن البعثة لطف من الله ورحمة... والله تعالى يختص برحمته من يشاء من عباده، وهو أعلم حيث يجعل رسالته»[٤].

فعلى هذا يتبين أن النبوة ليست معنى يعود إلى شيء ذاتى من ذاتيات النبي، ولا إلى عرض من أعراضه استحقها بكسبه وعمله ولا إلى العلم بربه، فإن ذلك مما يثبت قبل النبوة، ولا إلى علمه بنبوته، إذ العلم بالشئ غير الشيء، ولكن الله يمن بها على من يشاء من عباده، يقول صاحب (الجوهرة):

ولم تكن نبوة مكتسبة ... ولو رقى في الخير أعلى درجة

(١) ابن تيمية: «النبوات»، ص ٢١٩، وابن أبى العز «شرح الطحاوية»، ص ٩٥.

(٢) محمد رشيد رضا، «المنار»، م٢عدد٢٩ ص ٤٥٤.

(٣)الجرجاني: «شرح المواقف»، جـ٨، ص٢٥٤.

(٤) «شرح المقاصد»: جـ٥، ص٨.

بـل فـضـل الله يـؤتـيـه مــن يـشـاء جـــلّ الله واســـــع الـنـعـــم[١]

ولما كان مذهب الفلاسفة مخالفا للمذاهب السابقة، فإن الباحث سيشير إليه فيما يلى:

ثانيًا - رأى الفلاسفة :

ذهب الفلاسفة إلى القول بأن النبوة مكتسبة، وتتحقق بتصفية النفس وتهذيبها بكثرة الرياضة والعبادة، والتخلى عن الأخلاق الذميمة والتحلى بالأخلاق الفاضلة، ويشترط فيه أن يطلع على المغيبات، وأن تكون له قدرة على الإتيان بخوارق العادات وأن يرى الملائكة بصورة محسوسة، فإذا توافرت هذه الشروط في شخص نال الرسالة[٢].

الرأي الراجح: إن ما ذهب إليه كل من ابن تيمية والشيخ رشيد رضا هو الصواب؛ وذلك لأن النبوة لا تنال بمجرد الكسب بالجد والجهد والاجتهاد، وتكلف أنواع العبادات، واقتحام أشق الطاعات، لكنها أى النبوة والرسالة فضل من المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يؤتيه من يشاء ممن سبق علمه وإرادته الأزليان باصطفائه لها، فالله أعلم حيث يجعل رسالته، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد بين في أكثر من آية أن النبوة نعمة ربانية إلهية، قال الله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، كما حكى الله قول يعقوب لابنه يوسف: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف: ٦].

---

(١) البيجورى في شرحه «على الجوهرة»: ص١٤٨، وانظر: الآمدى: «غاية المرام في علم الكلام» - تحقيق د/ حسن محمود الشافعى ص ٣١٧ - ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٩١هـ، وانظر: القاضى عبد الجبار «المغنى في أبواب التوحيد والعدل»، تحقيق محمود الخضيرى، مراجعة د/ إبراهيم مدكور، بإشراف د / طه حسين: جـ١٥، ص٩، طبعة دار الكتب المصرية عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦٠م.

(٢) انظر: الفارابي «آراء أهل المدينة الفاضلة» ص ٦١، وانظر: ابن سينا «الإشارات والتنبيهات»: جـ٣ ص ١١٩ وما بعدها - دار المعارف بمصر ط: ١٩٧٥م، وانظر: د/ إبراهيم مدكور «فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه»: ص ٥٧ وما بعدها - دار المعارف بمصر ط.ثانية ١٩٦٨م. وانظر د/ عبد الحليم محمود: «التفكير الفلسفي في الإسلام» ص ١٩٤ ط. ثانية دار المعارف، بدون.

أبرز نقاط الاختلاف بين ابن تيمية والشيخ رشيد رضا:

على الرغم من أن الشيخ رشيد رضا قد ارتأى مذهب ابن تيمية في هذه المسألة إلا أنه كان مجانبا للصواب في زعمه أن البارى جل في علاه أنزل على كل نبى كتابا، وأن لفظ أهل الكتاب لا يختص باليهود والنصارى وفيما يلي بيان ذلك بإيجاز:

أولًا - زعمه أن الباري جل في علاه أنزل على كل نبي كتابًا:

يرى الشيخ محمد رشيد رضا أن البارى جل في علاه أنزل على كل نبى كتابا، ولذا يقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة:٢١٣] ما نصه: «الأنبياء أول ما يبعثون ينبهون قومهم إلى ما غفلوا عنه، ويحذرونهم عاقبة ما يكونون فيه من عادة سيئة أو خلق قبيح أو عمل غير صالح، فإذا تهيأت الأذهان لقبول ما بعد ذلك من تشريع الأحكام وتحديد الحدود أنزل الله الكتب لبيان ما يريد حمل الناس عليه مما هو صالح لهم على حسب استعدادهم، ثم في قوله «وأنزل معهم الكتاب»: عود الضمير على جميع النبيين ما يفيد أن الله أنزل مع كل نبى كتابا معجزا كان أو غير معجز، طويلا كان أم قصيرا، دون وحفظ أم لم يدون ولم يحفظ، ليؤدى من سلف إلى خلف»[1].

---

(١) محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ ٢، ص ٢٨٤.

الرد على الشيخ رشيد رضا:

إن المتأمل لهذا النص من الشيخ رشيد رضا يدرك مدى مخالفة الشيخ رشيد رضا لمذهب ابن تيمية؛ إذ النص في غاية الخطورة لأنه لم يقم دليل عليه، بل الدليل قائم على خلافه فكل من أتى من الأنبياء بعد سيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقبل سيدنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يحكم بأحكام التوراة، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]. فالمراد بالنبيين محمد ﷺ، وعبر عنه بلفظ الجمع، وقيل كل من بعث بعد موسى بإقامة التوراة، وأن اليهود قالت: إن الأنبياء كانوا يهودا، وقالت النصارى: كانوا نصارى، فبين الله عَزَّوَجَلَّ كذبهم، ومعنى أسلموا: صدقوا بالتوراة من لدن موسى إلى زمان عيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وبينهما ألف نبي، ويقال: أربعة آلاف، ويقال أكثر من ذلك كانوا يحكمون بما في التوراة، وقيل: معنى ﴿أَسْلَمُوا۟﴾ خضعوا وانقادوا لأمر الله فيما بعثوا به، وقيل: أي يحكم بها النبيون الذين هم على دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ والمعنى واحد»[١].

فلو كان نزل مع كل نبي من هؤلاء الأنبياء الذين هم بين سيدنا موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كتابا كما زعم صاحب المنار لحكم به ولم يحكم بالتوراة.

(١) القرطبي: «الجامع لأحكام القرآن، جـ٦، ص ١٨٨ «دار إحياء التراث العربي» - بيروت - لبنان ١٩٦٥م.

ومن ثم يتبين أن ما ذهب إليه الشيخ رشيد رضا لا يستند إلى دليل من كتاب أو سنة كما أنه مخالف لما عليه سلف الأمة، ولذا يقول ابن تيمية: «...وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة، فإن يوسف كان رسولا، وكان على ملة إبراهيم وداوود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء:١٦٣]»[1]، كما أن المؤمن مطالب بأن يؤمن بما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ به من الكتب المنزلة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦][2]. فهذا هو الإيمان إجمالا بما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ على الأنبياء من كتب، أما تفصيلا فيجب عليه أن يؤمن بالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن والصحف.

ثانيًا - زعمه أن لفظ أهل الكتاب لا يختص باليهود والنصارى:

يرى رشيد رضا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٥]، أن المجوس والصابئين ووثني الهند والصين وأمثالهم كاليابانيين أهل كتب مشتملة على التوحيد إلى الآن[3].

(١) وانظر: أبو بكر الجزائري: «عقيدة المؤمن»، تحقيق وتعليق: سعيد بن نصر محمد، ص ٢٦١، مكتبة الرشد بالرياض، ط. أولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، وراجع ابن تيمية: «النبوات»، ص ١٧٤ باختصار.

(٢) انظر: عبد الرحمن حبنكة «العقيدة الإسلامية وأسسها» ص ٣٦٤، ط: سابعة - دار القلم بدمشق ١٩٩٤م.

(٣) انظر: «تفسير المنار»: جـ٦، ص ١٥٩.

الرد على صاحب (المنار):

إن الممعن للنظر في قول الشيخ رشيد رضا يرى فيه مخالفة صريحة لما عليه ابن تيمية من أن لفظ أهل الكتاب يختص باليهود والنصارى دون غيرهم، يقول ابن تيمية مبينا أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى الذين اعترفوا بأنبيائهم وأنكروا نبوة محمد ﷺ: «من أقر بجنس الأنبياء كان إقراره بنبوة محمد في غاية الظهور، أبين مما أقر أن في الدنيا نحاة، وأطباء، وفقهاء، فإذا رأى نحو سيبويه، وطب أبقراط، وفقه الأئمة الأربعة، ونحوهم، كان إقراره بذلك من أبين الأمور، ولهذا كان من نازع من أهل الكتاب في نبوة محمد؛ إما أن يكون لجهله بما جاء به، وهو الغالب على عامتهم، أو لعناده وهو حال طلاب الرياسة بالدين منهم»[١].

ويضيف قائلًا: «والمجوس لا تحل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم والدليل على ذلك وجوه:

أحدها - أن يقال: ليسوا من أهل الكتاب، ومن لم يكن من أهل الكتاب لم يحل طعامه ولا نساؤه، أما المقدمة الأولى ففيها نزاع شاذ، فالدليل عليها أنه سبحانه قال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [الأنعام:١٥٥-١٥٦]، فالآيات السابقة تبين بما لا يدع مجالا للشك أن القرآن الكريم لو كان قد أنزل على أكثر من طائفتين لكان هذا كذبا، فلا يحتاج إلى مانع من قوله، وأيضا فإنه قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟

---

(١) ابن تيمية: «النبوات»، ص١٤٩، وانظر: ابن أبي العز الحنفي: «شرح العقيدة الطحاوية»، ص ٥٥٩ وما بعدها.

وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج: ١٧].

فذكر الملل الست وذكر أنه يفصل بينهم يوم القيامة، ولما ذكر الملل التي فيها سعيد في الآخرة قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢]. وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٦٩].

فلم يذكر المجوس ولا المشركين، فلو كان في هاتين الملتين سعيد في الآخرة كما في الصابئين واليهود والنصارى لذكرهم، فلو كان لهم كتاب لكانوا قبل النسخ والتبديل على هدى، وكانوا يدخلون الجنة إذا عملوا بشريعتهم، كما كان اليهود والنصارى قبل النسخ والتبديل، فلما لم يذكر المجوس في هؤلاء علم أنه ليس لهم كتاب إلا أن يدخلوا في دين أحد من أهل الكتابين وهو دليل على أن المجوس أبعد عن الكتاب منهم»[١].

فما ذكره ابن تيمية يبرهن بما لا يدع مجالًا للشك أن رشيد رضا جانبه الصواب فيما ذهب إليه ومما يؤيد هذا ويقويه ما ذكره المصطفى ﷺ: **«أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟! بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»**[٢]. فالحديث يبين أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى دون غيرهم.

---

(١) ابن تيمية: «مجموع الفتاوى»، جـ١٣، ص ١٨٩.

(٢) مسلم في «صحيحه»، كتاب «الإيمان» باب: (تجاوز الله تعالى عن حديث النفس)، جـ٢، ص ١٤٥، حديث ٣٢٣.

المطلب الثاني
الوحـي

قبل بيان أبرز نقاط الخلاف بين ابن تيمية وصاحب المنار في هذه المسألة يلقى الباحث بشيء من الإيجاز الضوء على مفهوم الوحى وأنواعه وذلك فيما يلي:

حقيقة الوحي لغة: يأتى الوحى لغة بمعان متعددة منها: الأمر والإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفى والعجلة والإسراع والإعلام في خفاء، وكل ما يلقى إلى الغير والرؤيا الصادقة والتصويت يكون شيئًا بعد شيء[١].

اصطلاحًا: أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر[٢].

وهذا التعريف يبين معنى إعلام الله للنبى في الخفاء.

ويضيف صاحب المنار قائلًا: «الإعلام الخفى السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره»[٣].

---

(١)انظر: الفيروزبادى: «القاموس المحيط»، ص ٤٠١، وانظر: الجوهرى: «الصحاح»، تحقيق: أحمد عبد الغفور، جـ ٦ صـ ٢٥١٩ وما بعدها - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ط٣- ١٤٠٤هـ/ ٢٠٠٢م، وانظر: ابن قتيبة: «تأويل مشكل القرآن»، ص ٤٨٩ وما بعدها، شرح ونشر أ/ السيد أحمد صقر، دار التراث بالقاهرة ط. ثانية ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

(٢)انظر: محمد عبد العظيم الزرقاني: «مناهل العرفان في علوم القرآن»، جـ١ ص، ٦٣، ط: الحلبى بدون، وانظر: التهانوى: «كشاف اصطلاحات الفنون»، تقديم: رفيق العجم، تحقيق د/ على دحروج، جـ٢، ص ١٧٧٦ - مكتبة لبنان ط: أولى ١٩٩٦م، وانظر: أبو بكر الجزائرى «عقيدة المؤمن» ص ٢٦١ - بيروت لبنان بدون.

(٣) محمد رشيد رضا: «الوحى المحمدى»، ص ٣٤.

أنواع الوحي:

للوحي أنواع متعددة منها:

(أ) **الرؤيا الصادقة التي تحدث للموحى إليه في النوم:** وهو أول ما بدئ به رسولنا ﷺ، كما جاء في (صحيح البخارى) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»[(١)].

(ب) **التكليم المباشر بلا واسطة:** وقد وقع لنبينا عليه الصلاة والسلام في ليلة المعراج كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم:٨-١٠]، كما حصل أيضًا لنبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤]، وجمهور العلماء على أن الكلام هنا حقيقى وبلا واسطة، ويؤكدون كلامهم بأن هذه الآية قد جاء المصدر فيها تأكيدا للفعل أو الحديث، ولم يجئ الخطاب بهذه الصيغة إلا لتأكيد المعنى المراد حقيقة من الفعل ذاته حتى لا يصار إلى المجاز.

(جـ) **الإيماء بواسطة الملك:** وهذا النوع هو الغالب في كيفية التلقى عن الله تعالى.

إن اتصال أمين الوحى بالنبى يأخذ ثلاثة أشكال: فإما أن يظل أمين الوحى على ملكيته، وفى هذه الحالة يخلق الله تعالى للنبى استعدادا به يفهم خطابه، وإما أن يتشكل في صورة بشر، وإما أن لا يكون هذا ولا ذاك، بل يسمع النبى صوتا كصوت الجرس خفيفا أو شديدا يفهم منه أنه وحى الله إليه، فعن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن الحارث

---

(١) البخاري في «صحيحه»، كتاب «بدء الوحى»، باب: (كيف بدئ الوحى على رسول ﷺ)، جـ١، ص٢٢، حديث ٣.

ابن هشام[١] سأل النبى ﷺ عن كيفية تلقيه الوحى فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ» قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا»[٢].

(د) الإلهام: وهو القذف في القلب، مع تيقن النبى أن الملقى في قلبه إنما هو وحي الله تعالى وليس من باب الخواطر أو غيرها التي تأتى غير الأنبياء.

وقد جاءت الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]، لتقرر أنواع الوحى، والمدقق في الآية الكريمة السابقة يرى أنها صدرت بلفظ «الوحي»، ثم التكلم من وراء حجاب، ثم الوحى بواسطة الملك، وهذا يعنى أن المراد بالوحى أولًا: هو الرؤيا الصادقة والإلهام، وبهذا تكون الآية قد أشارت إلى الأنواع الأربعة سالفة الذكر[٣].

---

(١) هو الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، شهد أحدا مشركا، ثم أسلم يوم فتح مكة ثم حسن إسلامه، ولم يزل مجاهدا بالشام حتى ختم الله له بالخير، قيل مات بالطاعون، وقيل استشهد يوم اليرموك. انظر: «الإصابة»: جـ١، ص ٢٩٣.

(٢) البخاري في «صحيحه»: كتاب «بدء الوحى»، باب: (كيف بدئ الوحى على رسول الله ﷺ» جـ١، ص ٢٢، حديث ٣.

(٣) انظر: ابن تيمية «الفرقان بين الحق والباطل»، تحقيق: أ/ محمد أبو الوفا عيد، ص ٢٤، مكتبة بسام بالعراق، ط. ١٩٩٠م، انظر: محمد رشيد رضا: «الوحى المحمدى»، ص ٣٤، وانظر: د/ محمد السيد الجليند «الوحى والإنسان قراءة معرفية»: ص ٨٥، دار قباء بالقاهرة، ٢٠٠٢م.

حكم الإيمان بالوحي:

الإيمان بالوحي واجب دل الكتاب والسنة والإجماع على وجوبه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

كما روى البخاري أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رضي الله عنه سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ» قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا»[1].

كما أن الإجماع قائم على أن المولى عز وجل أوحى إلى أنبيائه ورسله.

ويؤخذ على السيد رشيد رضا في هذه المسألة استدلاله على إمكان وقوع الوحي بما سماه من تمثل بعض أرواح البشر لبعض الناس في صور كصورة الأجساد، ولذا يقول: «وأما تمثل الملك فكانوا يكتفون في إثباته بقولهم إنه ممكن في نفسه، وقد أخبر به الصادق فوجب تصديقه، ونقول اليوم أن العلوم الكونية لم تبق شيئا من أخبار عالم الغيب غريبا إلا وقربته إلى العقل بل وإلى الحس تقريبا، بل ظهر من الاختراعات المادية المشاهدة في هذا العصر ما كان يعد عند الجماهير محالا في نظر العقل لا غريبًا فقط، فإذا كان الإنسان الكيميائي يحلل الأجسام الكثيفة حتى تصير غازات لا ترى من شدة لطفها، ويكثف العناصر اللطيفة فتكون كالجامدة بطبعها، فكيف يستغرب تكثيف الملك لنفسه وهو

---

(١) سبق تخريجه.

من الأرواح ذات المرة والقوة العظيمة بأخذه من مواد العالم المنبثة فيه هيكلا على صورة الإنسان مثلا..، ودع ما يثبته الألوف من علماء الأمم كلها من تمثل بعض أرواح البشر لبعض الناس في صور كصورة الأجساد..»(١).

فقد استدل رشيد رضا في النص السابق على إمكان وقوع الوحى بما سماه من تمثل بعض أرواح البشر لبعض الناس في صور كصورة الأجساد، وهذا مرفوض؛ لأنه لم يؤثر عن أحد من علماء السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين بصفة عامة، وابن تيمية بصفة خاصة، كما رده بعض الباحثين من أمثال د/ فهد الرومى، ولذا يقول منتقدًا الشيخ رشيد رضا:

«أما ما ذكره السيد رشيد رضا من تمثل بعض أرواح البشر لبعض الناس في صور كصورة الأجساد فلعله يقصد أمر تحضير الأرواح الذى كان له جولة في عصره وصولة، فإذا كان الأمر كذلك فهو كأستاذه - يقصد الأستاذ الإمام محمد عبده - يستدل بوقوع أمر باطل على أمر حق وهذا لا يكون، أما أمر تحضير الأرواح فقد خدع به كثير من ذوى الثقافة.

أدرك بعضهم الخداع والشعوذة والخيالات والأوهام التي تقوم عليها تلك الأحداث فرجع مكذبًا مبطلًا لها كاشفا لما فيها من ذلك»(٢).

---

(١) محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ١، ص ١٨٤ باختصار.

(٢) د/ فهد الرومى: «منهج المدرسة العقلية في التفسير»، جـ٢، ص٤٩٤، وانظر: د/ محمد محمد حسين : «الروحية الحديثة دعوة هدامة»، ص ٣٣ وما بعدها - دار الرشاد - بيروت - ط. ثانية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.



المبحث الثاني

مدى الاختلاف بين ابن تيمية وصاحب المنار فيما يتعلق بخوارق العادات

ويشتمل على مطلبين:

* المطلب الأول- المعجزة.
* المطلب الثاني- السحر.





المطلب الأول
المعجزة

أرسل الله تعالى إلى عباده رسلًا مبشرين ومنذرين: ﴿ مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥]، وأعطاهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من العلامات ما يثبت صدق رسالتهم، ومن تلكم العلامات ما يسمى بالمعجزات، وفيما يلي بيان ذلك:

المعجزة.. الدلالة والمفهوم:

لغـة: مأخوذة من العجز وهو نقيض الحزم. يقال عجز عن الأمر، يعجز عجزا، وعجز فلان عن رأى فلان إذا نسبه إلى خلاف الحزم فكأنه نسبه إلى العجز فالمعجزة على وزن مفعلة[١].

وقيل: المعجزة مأخوذة من العجز المقابل للقدرة، وحقيقة الإعجاز إثبات العجز، استعير لإظهاره ثم أسند مجازا إلى ما هو سبب العجز الذى هو الفعل الخارق للعادة وجعل اسما له فهو معجز، والتاء في المعجزة للنقل من الوضعية إلى الاسمية كما في لفظ حقيقة. وقيل للمبالغة كما في لفظتى العلامة والفهامة[٢].

والأظهر أن التاء في لفظ (المعجزة) للتأنيث، فإن المعجزة آية النبوة[٣].

---

(١) ابن منظور: «لسان العرب»، جـ٩، ص٥٨ مادة: (عجز).

(٢) التفتازانى في «شرح المقاصد»: تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة، جـ٥، ص ١١، ط. أولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. وانظر: فخر الدين الرازى: «محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين»، مراجعة وتقديم طه عبد الرؤوف سعد، ص ٢٠٧، مكتبة الكليات الأزهرية، بدون، وابن تيمية: «النبوات»، ص٢٨.

(٣) الخيالى: في «حاشيته على شرح التفتازانى على العقائد النسفية»، ص١٢٩، ط.البابى الحلبى وأولاده.

المفهوم الاصطلاحي للمعجزة:

هي أمر يظهر على يد مدعى النبوة يجريه الله تعالى على وجه يعجز الناس عن الإتيان بمثله[(١)]، وقيل: هي أمر يؤيد الله تعالى به نبيه ويخضع له به النفوس، وكان يختلف باختلاف الأمم ومعارفها ودرجات ارتقائها[(٢)].

شروط المعجزة:

من خلال تعريف المعجزة نستطيع أن نستخرج شروطها،والتى حصرها المتكلمون في سبعة شروط:

❋ أن تكون قولا أو فعلا أو تركا، فالأول كالقرآن الكريم، والثانى كنبع الماء من بين أصابعه عَلَيْهِ السَّلَامُ والثالث كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم، وخرج بذلك الصفة القديمة كما إذا قال: آية صدقى كون الإله متصفا بصفة الاختراع.

❋ أن تكون خارقة للعادة وهى ما اعتاده الناس واستمروا عليه مرة بعد أخرى، وخرج بذلك غير الخارق كما إذا قال: آية صدقى طلوع الشمس من حيث تطلع وغروبها من حيث تغرب.

❋ أن تكون على يد مدعى النبوة والرسالة وخرج بذلك الكرامة وهى ما يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، والمعونة وهى ما يظهر على يد العوام تخليصا لهم من شدة، والاستدراج وهو ما يظهر على يد فاسق خديعة ومكرا به، والإهانة وهى ما يظهر على يده تكذيبا له كما وقع لمسيلمة الكذاب[(٣)] فإنه تفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة.

---

(١) انظر: ابن تيمية «الجواب الصحيح» تحقيق أ/ سيد عمران - «دار الحديث» جـ٤ ص٦٩، ط: ٢٠٠٣م.

(٢) انظر: محمد رشيد رضا «تفسير المنار» جـ٢ ص ١٩٠

(٣) هو مسيلمة بن ثمامة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث، كان ضئيل الجسم تنبأ وادعى انه قد أشركه الله في الأرض مع محمد ﷺ، مات في حرب اليمامة عام ١٢هـ. انظر: ابن هشام «السيرة النبوية» :تحقيق د/ أحمد حجازى السقا، جـ٤، ص ٤٢٥ ط.دار التراث، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

❁ أن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة حقيقة أو حكما بأن تأخرت بزمن يسير، وخرج بذلك الإرهاص وهو ما كان قبل النبوة والرسالة تأسيسا له كإظلال الغمام له ﷺ قبل البعثة.

❁ أن تكون موافقة للدعوى بأن يقول مثلا آية صدقى في رسالتى انفلاق هذا البحر فينفلق البحر، أما الخارق المخالف للدعوى فإنه لا يدل على صدق المدعى إذ لابد من الموافقة والمطابقة بين الدعوى والدليل، فلو قال: آية صدقى انفلاق البحر فانفلق الجبل فلا يعد ذلك دليلا على صدق المدعى.

❁ ألا يكون الخارق مكذبا للمدعى إذا كان مما يعتبر تكذيبه كالجمادات والحيوانات إذا نطقت لتكذيبه كما إذا قال آية صدقى نطق هذا الجماد فنطق بأنه مفتر كذاب، فيكون ذلك تكذيبا له إذ لا إرادة للجماد في نطقه، وإنما أنطقه الله ليكذب المدعى إهانة له، بخلاف ما لو قال: آية صدقى نطق هذا الإنسان الميت وإحياؤه، فأحيى ونطق بأنه مفتر كذاب، والفرق أن الجماد لا اختيار له فاعتبر تكذيبه لأنه أمر إلهى، والإنسان مختار فلا يعتبر تكذيبه لأنه ربما اختار الكفر على الإيمان.

❁ أن تتعذر معارضته، وخرج بذلك السحر والشعوذة وهى خفة في اليد يرى أن لها حقيقة ولا حقيقة كما يقع للحواة(١).

هذه هي شروط المعجزة كما ذكرتها كتب العقائد، وإذا كان من الثابت أن المشروط لا يتحقق إلا بوجود شروطه بخلاف العكس فقد يوجد الشرط ولا يوجد المشروط. كالوضوء مع الصلاة، فقد يوجد الوضوء وهو شرط للصلاة ولا توجد الصلاة، أما

---

(١) انظر: ابن تيمية: «النبوات»، ص ٢٨، وانظر: محمد رشد رضا: «المنار»، م ٥، جـ(؟؟؟؟؟)، ص ٣٢٩، وانظر: الإيجى- «المواقف»: ص ٣٣٩، ٣٤٠، وانظر: التفتازانى: «شرح المقاصد»، جـ٢، ص ١٨٥، وانظر: البيجورى في «شرحه على الجوهرة»، ص ١٥٨.

الصلاة فلا تتحقق بدون وضوء أو ما يقوم مقامه، وإذا كان الأمر كذلك فما حكم المعجزة في حد ذاتها إذا تحققت شروطها؟

يكاد يتم إجماع علماء الكلام على أن المعجزة أمر ممكن في حد ذاته، وإن إمكانها ضروري، ولا رأيَ مخالفًا في ذلك لدى مدرسة هذا البحث[١].

وجه دلالة[٢] المعجزة على صدق الرسول:

اتفق كل من شيخ الإسلام ابن تيمية وصاحب المنار على أن المعجزة بمفهومها وشروطها حسية أو معنوية فإنها تثبت إثباتا لا شك فيه أن الذى جرت على يديه هذه المعجزة رسول من عند الله، وأن دلالتها على صدق دعواه تفيد اليقين، كما اتفقا على أن دلالتها على صدق الرسول ليست سمعية لتوقف دلالة السمع على صدق الرسول وتوقف صدق الرسول على الرسول، فإذا توقف صدق المعجزة على السمع فقد توقف على صدق الرسول وهذا دور باطل، وبعد اتفاقهما على كون الدلالة ليست سمعية اختلفا:

- فذهب ابن تيمية إلى أن المعجزة تدل على صدق النبى سواء أكانت عقلية أم وضعية أم عادية إذ أن صاحبها رسول من عند الله وأنها لا تظهر على يد كاذب[٣].

- وذهب صاحب المنار إلى أن دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عادية؛ لأن «النبي يستند إليها في دعواه أنه مبلغ عن الله، فإصدار الله لها عند ذلك يعد تأييدًا منه له في تلك الدعوى، ومن المحال على الله أن يؤيد الكاذب، فإن تأييد الكاذب تصديق

(١) انظر: ابن تيمية: «النبوات»، ص ٢٨، وانظر: محمد رشد رضا: «المنار» م ٥، جـ(؟؟؟؟؟)، ص ٣٢٩.

(٢) الدلالة: كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشئ آخر، أو هي فهم أمر من أمر. - انظر: د/ عوض الله حجازى «المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم» ص٤٢ ط. رابعة دار الطباعة المحمدية - بدون.

(٣) انظر: ابن تيمية: «النبوات»، ص١١١، وانظر: د/ محمود خفاجى«فى العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة» - ط: ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

له وتصديق الكاذب كذب، وهو محال على الله فمتى ظهرت المعجزة، وهي مما لا يقدر عليه البشر، وقارن ظهورها دعوى النبوة، علم بالضرورة أن الله ما أظهرها إلا تصديقًا لمن ظهرت على يده، وإن كان هذا العلم قد يقارنه الإنكار مكابرة»[١].

وبالطبع، فإن الشيخ محمد رشيد رضا قد سلك مسلك الأشاعرة في قوله بأن دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عادية، ولذا يقول إمام الحرمين الجويني: «اعلموا أرشدكم الله أن المعجزة لا تدل على صدق النبى حسب دلالة الأدلة العقلية على مدلولاتها، فإن الدليل العقلى يتعلق بمدلوله بعينه، ولا يقدر في العقل وقوعه غير دال عليه، وليس كذلك سبيل المعجزات»[٢].

ويضيف قائلًا: «المعجزة إنما تدل في حق من يعتقد الرب قادرا يفعل ما يشاء، فيقول النبى في مخاطبة من سبق اعتقاده للإلهية قد علمتم أن ابتعاث النبى غير منكر عقلا وأنا رسول الله إليكم، وآية صدقى أنكم تعلمون تفرد الرب تعالى بالقدرة على إحياء الموتى، وتعلمون أن الله عالم بسرنا وعلانيتنا، وما نخفيه من سرائرنا ونبديه من ظواهرنا، وإنما أنا رسول الله إليكم، فإن كنت صادقا فاقلب يا رب هذه الخشبة حية تسعى، فإذا انقلبت كما قال وأهل الجمع عالمون بالله تعالى فحينئذ يعلمون على الضرورة أن الرب تعالى قصد بإبداع ما أبدع تصديقه كما ذكرناه شاهدا»[٣]، ومن ثم فدلالة المعجزة عنده دلالة عادية.

وما ذكره كل من الغزالى والإيجى لا يخرج في فحواه عما ذكره الإمام الجوينى ولذا يقول الغزالى: «لو تحدى إنسان بين يدى ملك جنده أنه رسول الملك إليهم فطالبوه

(١) محمد رشيد رضا في «تفسيره»: جـ١١، ص١٨٩ وما بعدها.

(٢) الجوينى: «الإرشاد»، ص ٣٢٤، وانظر: الغزالى «إلجام العوام عن علم الكلام»، ص ٢٣ وما بعدها، ط. المنيرية، ١٩٥١م.

(٣) المرجع السابق: ص ٣٢٩.

بالبرهان فقال: أيها الملك إن كنت صادقا فيما ادعيته فصدقنى بأن تقوم على سريرك ثلاث مرات على التوالى وتقعد على خلاف عادتك فقام الملك عقيب التماسه على التوالى ثلاث مرات، ثم قعد حصل للحاضرين علم ضرورى بأنه رسول الملك قبل أن يخطر ببالهم أن هذا الملك من عادته الإغواء أم يستحيل في حقه ذلك»[١].

ويضيف الإيجى قائلا: «البحث الثالث: في كيفية دلالتها، وهى عندنا -الأشاعرة- إجراء الله عادته بخلق العلم بالصدق عقيبه»[٢]؛ ومن ثم يتبين مدى مخالفة الشيخ محمد رشيد رضا لما عليه ابن تيمية فيما ذهب إليه.

الرأي الراجح:

والذى يرجه الباحث من الآراء السابقة هو رأى ابن تيمية، فالمعجزة دالة على صدق الرسول بكل هذه الوجوه الثلاثة، فحيث ظهر الخارق على يد الرسول فيدل عقلا على أن الله يصدقه، وأن هذا الخارق دال على صدق الرسول مواضعة، ولم تجر عادته بتأييد الكاذب.

أبرز المآخذ على صاحب (المنار) في هذه المسألة:

بداية نقول: «إن المعجزات بلا شك حجة للرسل لا ينكر حجيتها إلا مغالط. خاضع للهوى أو الجهل، ولو لم تكن المعجزات حجة توجب الإيمان بالرسل لما

(١) الغزالى: «الاقتصاد في الاعتقاد»، ص١٦٦، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ط. أولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٢) الإيجى: «المواقف»، ص٣٤١، وتجدر الإشارة إلى أن المعتزلة قد ذهبوا إلى القول بأن دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عقلية. انظر: القاضى عبد الجبار: «شرح الأصول الخمسة»، ص ٥٦٨، فقد حكى صاحب المواقف عن المعتزلة أنهم قالوا أن خلق المعجز وإن كان مقدورا لله لكنه ممتنع الوقوع عقلا؛ لأن فيه إيهام تصديق الكاذب، وذلك قبيح لا يليق بالبارى؛ لذلك لا تظهر المعجزة إلا على يد نبى. كما بنى المعتزلة رأيهم ذلك على أصلهم في تنزيه الله تعالى عن إضلال العباد على اعتبار أنه أمر قبيح، ومن هنا تدل المعجزة على الصدق من حيث إن الله يخصها بالصادقين، ولا يثبتها للكاذب وهو وجه عقلى. انظر: الإيجى - المواقف، ص ٣٤١.

عاتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المشركين وعنفهم ووصفهم بأنهم لايؤمنون بالآيات حيث قال سبحانه: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [الأنعام: ٤]، وقال: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام: ٧] . أرأيتم كيف عاتب الله أولئك القوم، وذمهم بعدم الإيمان بعد الآيات؟ أليس في هذا إثباتا لحجية المعجزة وكون من لا يؤمن بعدها يستحق الذم؟

إنها بلا شك حجة من أقوى الحجج وبرهان من أقوى البراهين، ولهذا وصفها موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنها شيء مبين حين أراد أن يظهر معجزاته عند فرعون وقومه حيث قال: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الشعراء: ٣٠-٣١].

إن تلك المعجزات وغيرها من معجزات الأنبياء شيء مبين وموضح، ومظهر للحق إظهارا لا يقبل بعده جدل أو شك، أبى هذا الحكم الشيخ محمد رشيد رضا مستندا إلى أساس ثابت في منهجه ألا وهو زعمه تحكيم العقل، والعقل عند محكميه لا يؤمن بما يقهره بل لابد لإيمانه من اقتناع ذاتي بعيدا عن المؤثرات الخارجية المجبرة له على الإذعان كالمعجزات، ثم إن هذه المعجزات قد تلتبس بأعمال السحرة والمشعوذين فتوقع الحيرة في التمييز بين الأنبياء وأدعياء النبوة[1].

فصاحب المنار قد وافق ابن تيمية في وقوع المعجزات وحصولها، ولكنه خالفه في إنكاره حجيتها ودلالتها على الرسالة ولم يكتف بهذا بل أنكر معجزات النبي ﷺ سوى القرآن مخالفا مذهب ابن تيمية، وفيما يلي الإشارة إلى ذلك بإيجاز:

أولًا - معجزات الأنبياء ليست حجة على الرسالة ولا تدل عليها عنده:

يرى الشيخ رشيد رضا أن معجزات الأنبياء ليست حجة على الرسالة ولا تدل

---

(١) راجع: د/ فهد الرومي: «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير»: جـ٢، ص٥٤٥ وما بعدها.

عليها؛ لأنها لا تصلح لذلك، ولذا يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس: ٢] ما نصه: «وأما ما أكرمه الله تعالى به من الآيات الكونية فلم يكن لإقامة الحجة على نبوته ورسالته، بل كان من رحمة الله تعالى وعنايته بأصحابه في الشدائد»[(١)].

الرد على صاحب (المنار):

إن ما ذهب إليه الشيخ محمد رشيد رضا مخالف لما عليه ابن تيمية؛ ذلك لأن المعجزات حجة واضحة بينة من الأنبياء على أقوامهم، ففي قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه يقول الله تعالى على لسان نبيه صالح: ﴿ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٥-١٥٨]، فلما كذب قومه بما أيده الله عَزَّوَجَلَّ به من المعجزات نزل العذاب بهم، وفي هذا برهان قاطع على حجية المعجزة. يقول ابن تيمية: «فالآيات والبراهين التي أرسل بها الرسل دلالات الله على صدقهم دل بها العباد، وهي شهادة الله بصدقهم فيما بلغوا عنه، والذي بلغوه فيه شهادة لنفسه فيما أخبر به، ولهذا قال بعض النظار: إن المعجزة تصديق الرسول، وهي تجري مجرى قول المرسل: صدقت، فهي تصديق بالفعل تجري مجرى التصديق بالقول إذا كان الناس لا يسمعون كلام الله المرسل منه، وتصديق أخبار بصدقه، وشهادة له بالصدق وشهادة له بأنه أرسله»[(٢)].

---

(١) «تفسير المنار»: جـ١١، ص ١٤٩.

(٢) «مجموع الفتاوى»: جـ١٤، ص ١٨٩.

ويضيف قائلًا: «فى آيات الانبياء وبراهينهم وهى الأدلة والعلامات المستلزمة لصدقهم، والدليل لا يكون إلا مستلزما للمدلول عليه مختصا به، لا يكون مشتركا بينه وبين غيره، فإنه يلزم من تحققه تحقق المدلول، وإذا انتفى المدلول انتفى هو، فما يوجد مع وجود الشيء ومع عدمه لا يكون دليلا عليه، بل الدليل ما لا يكون إلا مع وجوده، فما وجد مع النبوة تارة، ومع عدم النبوة تارة لم يكن دليلا على النبوة، بل دليلها ما يلزم من وجوده وجودها»(١).

ثانيًا - القرآن الكريم وحده هو الحجة لإثبات نبوته ﷺ،

بداية لابد من إلقاء الضوء على وجه إعجاز القرآن الكريم..

الحقيقة أن القرآن الكريم - باعتباره كتابًا معجزًا، أنزله الله على قلب نبيه محمد ﷺ لإثبات نبوته ورسالته - فيه من وجوه الإعجاز ما لا يحصى، تكلم العلماء في بعضها قديمًا، واكتشف العلم الكثير والكثير حديثًا، ولعل هذا هو معنى من معاني قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فُصِّلَت: ٥٣].

ومن العلماء الذين عددوا أوجه إعجاز القرآن الكريم [الماوردي](٢) وهذا نص كلامه:

---

(١) ابن تيمية: «شرح العقيدة الأصفهانية»- تحقيق وتعليق سعيد بن نصر بن محمد، ص ١٥٥، مكتبة الرشد بالرياض ط: أولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، وانظر: ابن أبي العز: «شرح العقيدة الطحاوية»، ص ١٤٠.

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، صاحب «التصانيف»، درس في البصرة وبغداد، وله مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير وأصول الفقه ومنها: تفسير القرآن سماه «النكت»، و«أدب الدنيا والدين» و«الأحكام السلطانية» و«أعلام النبوة»، مات في ربيع الأول سنة ٤٥٠هـ - انظر: الإمام الذهبي: «سير أعلام النبلاء»، جـ١٨، ص ٦٤ - ٦٦.

«وإعجاز القرآن في خروجه عن كلام البشر، وإضافته إلى الله تعالى يكون من عشرين وجهًا: أحدها - فصاحته وبيانه.. والوجه الثاني من إعجازه - إيجازه عن هذا الإكثار، واستيفاء معانيه في قليل الكلام.. والوجه الثالث من إعجازه - أن نظم أسلوبه ووصف اعتداله يخرج عن منظوم الكلام ومنثوره، ولا يدخل في شعر ولا رجز.. والوجه الرابع من إعجازه - كثرة معانيه، التي لا يجمعها كلام البشر.. والوجه الخامس من إعجازه - ما جمعه القرآن من علوم لا يحيط. بها بشر.. والوجه السادس من إعجازه - ما تضمنه من الحجج والبراهين على التوحيد[١]».... إلى آخر تلك الوجوه التي ذكرها الماوردى.

هذا وقد ذهب رشيد رضا إلى أن القرآن الكريم وحده هو الحجة لإثبات نبوته ﷺ ولذا يقول: «فجملة ما ورد في اقتراح الآيات الكونية من مجمل ومفصل يفسر بعضه بعضا، وهو مقرر بما علم بالقطع من دين الإسلام أن الله تعالى جعل حجة على رسالة خاتم النبيين هذا القرآن المشتمل على كثير من الآيات العقلية والعلمية والإصلاحية وأخبار الغيب وإعجاز الأسلوب والنظم... إلخ ما فصلناه في الفصل الاستطرادى الذى عقدناه لإثبات الوحى في أول تفسير السورة، وقد أتى الله رسوله خاتم النبيين آيات أخرى علمية وكونية، ولكنه لم يجعلها حجة على رسالته، ولا أمره بالتحدى بها، وإنما كانت تكون لضرورات اشتدت حاجة الأمة إليها كاستجابة بعض أدعيته»[٢].

(١) الماوردي: «أعلام النبوة»، ص ٦٨ وما بعدها باختصار، تعليق أ / عبد الرحمن محمود، مكتبة الآداب بالجماميز.

(٢) «تفسير المنار»: جـ ١١، ص ١٤٩.

ويضيف قائلًا: «وأما آياته التي احتج بها على كونه من عند الله تعالى فهى القرآن، وأمية محمد ﷺ فإنما هي آية علمية تدرك بالعقل والحس والوجدان، وأما تلك العجائب الكونية فهى مثار شبهات وتأويلات كثيرة في روايتها وفى صحتها وفى دلالتها»[١].

كما استدل بقوله ﷺ: **«ما من نبي من الأنبياء إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»**[٢].

تعقيب...

إن المتأمل لأقوال رشيد رضا السابقة يتبين له أنه قد قصر معجزات نبينا محمد ﷺ على معجزة القرآن، كما وصفها بأنها معجزة عقلية، وكأنه بهذا القصر يريد إنقاذ حياته ﷺ من شائبة المعجزات الكونية المخالفة للعلم وسنن الكون، وفى هذا مخالفة صريحة لمذهب شيخ الإسلام ابن تيمية؛ ذلك لأن ابن تيمية لا ينكر معجزاته ﷺ، بل يرى أنها حجة في إثبات نبوته ﷺ ولذا يقول: «فالآيات والبراهين التي أرسل بها الرسل دلالات الله على صدقهم دل بها العباد، وهى شهادة الله بصدقهم فيما بلغوا عنه، والذى بلغوه فيه شهادة لنفسه فيما أخبر به، ولهذا قال بعض النظار: إن المعجزة تصديق الرسول، وهى تجرى مجرى قول المرسل: صدقت، فهى تصديق بالفعل تجرى مجرى التصديق بالقول إذا كان الناس لا يسمعون كلام الله المرسل منه، وتصديق أخبار بصدقه، وشهادة له بالصدق وشهادة له بأنه أرسله»[٣].

---

(١) «المرجع السابق»: جـ١١، ص ١٤٥، وانظر: «الوحى المحمدى»، ص ٥٥.

(٢) البخارى في «صحيحه»، «كتاب فضائل القرآن»، باب: (كيفية نزول الوحى وأول ما نزل)، جـ٤، ص ١٩٠٥. حديث رقم ٤٦٩٦، وراجع: ابن تيمية: (النبوات)، ص ٩٣ وما بعدها.

(٣) «مجموع الفتاوى»: جـ١٤، ص ١٨٩.

وتجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم قد أثبت للنبى ﷺ عددا من المعجزات نورد بعضها ردا على رشيد رضا الذي قصر معجزاته ﷺ على معجزة القرآن منها:

* قوله تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

* وقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ [الروم: ١-٣].. وهي إخبار بالغيب وقد تحقق في تلك المدة المذكورة في الآيات، والآيات غير هذا كثيرة.

أما استدلال رشيد رضا بالحديث الشريف لكى يؤيد مذهبه فهو استدلال واه؛ إذ ليس في الحديث ما يدل على أن القرآن هو المعجزة الوحيدة، بل إن النبى ﷺ أراد أن يبين لنا في الحديث أن القرآن الكريم معجزة خالدة لا تنقرض بانقراض زمنه ولا بموته بخلاف معجزات من قبله من الأنبياء، فقد عفى عليها الزمن ،وانقطع ذكرها بانقراض زمانهم[1]. وبهذا ثبتت معجزات أخرى له عليه السلام غير القرآن، واشتمال القرآن نفسه على ذكر بعضها مما يترجح معه مذهب ابن تيمية على ما ذهب إليه صاحب المنار.

وإتمامًا للفائدة يلقى الباحث نظرة على الفرق بين المعجزة وخوارق العادات الأخرى فيما يلى:

الفرق بين المعجزة وخوارق العادات:

المعجزة: هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة.. كما مر.

---

(١) انظر: النووى: «شرح «صحيح مسلم»، جـ٢، ص ١٨٨، وانظر: السفاريني: «لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية»، جـ١، ص ١٥٥ وما بعدها، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط٢ (١٤٠٢هـ ١٩٨٢م).

الكرامة: هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد صالح غير مدعى للنبوة[(١)].

حكم الكرامة ودليل وقوعها:

ذهب ابن تيمية إلى أن وقوع الكرامات من الأمور الممكنة المتحققة في الواقع فهى جائزة وواقعة، ولذا يقول: «كرامات الأولياء حق باتفاق أئمة الإسلام والسنة والجماعة، وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم»[(٢)]، ولم يخالف في ذلك إلا الأستاذ أبو إسحاق[(٣)] والحليمي[(٤)] من الأشاعرة، وأبو الحسين البصرى من المعتزلة»[(٥)].

ويصور القاضي عبد الجبار رأي المعتزلة في الكرامات، فيفترض سؤالًا ويرد عليه فيقول: «فإن قال: أفيجوز ظهور المعجزات على غير الأنبياء، على ما يقوله كثير من العوام، أنها قد تظهر كرامة على الصالحين، وكما يقول بعضهم أنها تظهر على الصادقين؟ قيل له: لا يجوز ذلك؛ لأنها تدل على التفرقة بين النبي، ومن ليس بنبي؛ لأن الرسول

---

(١) انظر: ابن تيمية: «النبوات»، ص ٦، وانظر: محمد رشيد رضا: «الوحى المحمدى»، ص ١٥٩، وانظر: الإيجى: «المواقف»، ص ٣٧٠.

(٢) ابن تيمية: «مجموع الفتاوى»، جـ٢، ص ٦٣، وانظر: التفتازاني: «شرح العقائد النسفية»، ص ١٣١، مكتبة –خيرآرام باغ كراجى– بدون، وانظر: تفصيل ذلك في سورة ﴿ مَرْيَمَ ﴾ [الآيات ٢٢ -٢٦]، وسورة ﴿ النَّمْلِ ﴾ [الآيات ٤٢-٤٤]، وسورة ﴿ الكَهْفِ ﴾ [الآيات ١٢- ٩].

وقد وقع لشيخ الإسلام كرامات متعددة منها – كما ذكر تلميذه ابن القيم– أنه أخبر بأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبى عام. – انظر: ابن القيم: «مدارج السالكين»، جـ٢، ص ٤٥٨.

(٣) أبو إسحاق الإسفرايني(ت: ٤١٨ هـ): إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران أبو إسحاق، عالم بالأصول والفقه، نشأ في إسفرايين ورحل إلى نيسابور وخراسان والعراق– له «الجامع في أصول الدين»– انظر: الزركلي: «الأعلام»، جـ١، ص ٦١.

(٤) الحليمي (ت: ٤٠٣ هـ): الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبوعبد الله من فقهاء الشافعية، تولى القضاء، ولد بجرجان وتوفي في بخارى. انظر: الزركلي:«الأعلام»، جـ ٢، ص ٢٣٥.

(٥) الإيجي: «المواقف»، ص ٣٧٠.

يقول لغيره: أنا وإن كنت بشرًا مثلكم، فكما كان المعجز يلزمكم الانقياد لي وطاعتي، فلابد أن يختص بذلك ليصح هذا المعنى، فلهذا لا يجوز ظهوره على غير الأنبياء»[١].

ورد الإيجي على هذا الاعتراض بأن النبوة تتميز بالدعوى والتحدي، والكرامة تخلو من ذلك[٢]، ومن ثم فلا لبس بينهما. فالحق أن وقوع الكرامات ثابت بالكتاب والسنة.

موقف الشيخ محمد رشيد رضا:

سلك الشيخ محمد رشيد رضا مسلك ابن تيمية في هذه المسألة مؤكدا إمكان وقوع الكرامات؛ لأن وقوع الكرامات من الأمور الممكنة المتحققة في الواقع ونفس الأمر فأرباب النفوس العالية والعقول السامية من العرفاء ممن لم تدن مراتبهم من مراتب الأنبياء، ولكنهم رضوا أن يكونوا لهم أولياء، وعلى شرعهم ودعوتهم أمناء، فكثير منهم نال حظه من الأنس، بما يقارب تلك الحال في النوع أو الجنس: لهم مشارفة في بعض أحوالهم على شيء من عالم الغيب، ولهم مشاهد صحيحة في عالم المثال لا تنكر عليهم لتحقق حقائقها في الواقع[٣] فالشيخ محمد رشيد رضا يؤكد إمكان وقوع الكرامات سالكا مسلك جمهور أهل السنة في هذه المسألة ولذا يقول: «وههنا نرجع إلى مذهب جمهور أهل السنة فنقول: إن الكرامة جائزة...»[٤].

وخلاصة الأمر أن صاحب المنار يثبت الكرامات الصحيحة لأولياء الله الحقيقيين؛

---

(١) القاضي عبد الجبار: «المختصر في أصول الدين»، (رسائل العدل والتوحيد)- تحقيق د/ محمد عمارة ١/ ٢٤٢- دار الشروق ط. ثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٢) انظر: الإيجي: «المواقف»، ص ٣٧٠.

(٣) انظر: محمد رشيد رضا: «مجلة المنار» م١، ص٤٠١، وانظر له أيضًا: «الوحى المحمدى»: ص٦٠وما بعدها.

(٤) محمد رشيد رضا: «مجلة المنار»، م٢، ص ٤١٧.

حتى إنه عد نفسه من أصحاب الكرامات كما حكى ذلك في المنار والأزهر[١].

الإرهاص: معناه: التأسيس والمقدمات التي تمهد لمجيء النبى، وعلى هذا فالإرهاص يشارك الكرامة في نفس التعريف ولا يختلف عنها إلا بالاعتبار الزمنى، وهو قبل دعوى الرسالة كرامة، ويسمى بعد ظهورها إرهاصا، وقد شاءت حكمة الله ألا يفاجئ القوم بالرسول ولكنه يمهد السبيل لرسالته بظهور بعض الخوارق على يديه، وقد حدث ذلك لرسولنا ﷺ كإظلال الغمام له وتسليم الحجر والمدر عليه ﷺ، وقد حدث أيضًا لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد تكلم في المهد صبيا، كل ذلك قبل الرسالة[٢].

وعلى هذا يمكن القول بأن الفرق بين المعجزة والإرهاص هو أن المعجزة مقرونة بدعوى الرسالة بخلاف الإرهاص.

السحر: فإذا علمنا حقيقة كل من الإرهاص والمعجزة للنبي، والكرامة للولي أدركنا أن السحر لا يتعلق بواحدة منها، فما هو إلا عمل شيطاني، وسيأتى الحديث عنه في المطلب الثانى إن شاء الله.

الاستدراج: هو أمر خارق للعادة يظهره الله على يد فاسق مدعى للألوهية خديعة ومكرا، والأدلة القطعية قائمة على كذبه.

الإهانة: هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد فاسق أو كاذب مدعى للنبوة على خلاف مطلبه كما حدث لمسيلمة الكذاب.

المعونة: هي أمر خارق للعادة يظهر على يد بعض العوام تخليصا لهم من شدة[٣].

---

(١) محمد رشيد رضا: «المنار والأزهر»، ص١٦٦، مطبعة المنار بالقاهرة، ١٣٥٢هـ.

(٢) انظر: الإيجي: «المواقف» ص ٣٧٩. وانظر: التفتازاني: «شرح العقائد النسفية»، ص ١٣٣.

(٣) انظر: المرجع السابق، وانظر: التفتازاني: «شرح العقائد النسفية»، ص ١٣١.

غرائب المخترعات: هي أمور ليست خارقة للعادة ولكنها تحصل بالتعلم ومعرفة القوانين التي تحكم المادة، وكل ما في الأمر أن الشيء قد يكون غريبا في وقت وعاديا في وقت آخر، وذلك بفضل تقدم العلوم والصناعات، وكلما ترقى النوع الإنسانى في مضمار العلم تبين له أن ما كان غير عادى بالأمس هو عادى اليوم، وعلى هذا فجميع الاختراعات التي توصل إليها الإنسان بجهوده ليست خوارق العادات مطلقًا[١]، وبهذا يتضح الفرق بين المعجزة وبين كل من خوارق العادات الأخرى.

---

(١) انظر: «المرجع السابق».

المطلب الثاني
السحر

من الأمور التي تحدث على أيدى العصاة (السحر) وهذا النوع محل خلاف بين ابن تيمية والشيخ محمد رشيد رضا، فابن تيمية يرى أنه من الخوارق على سبيل الإهانة أو الفتنة بين الناس وهو حقيقى وأثره لا ينكر، وشذ عن هذا الأصل الشيخ محمد رشيد رضا الذى اعتبر السحر من أنواع الخيالات التي تخيل للناس، وتبدو على أنها حقيقية، ولكنها ليست كذلك في نفسها، وقبل الخوض في هذه المسألة نلقى الضوء على حقيقة السحر وذلك فيما يلي:

السحر في اللغة: تطلق مادة (س ح ر) عند علماء اللغة على معان جمّة، تبعًا لورود استعمالها في الوضع الذي وقع فيه التخاطب ومنها: التمويه بالحيل والخداع والخفاء والاستمالة واللطافة؛ فهو عبارة عما لطف أمره وخفي سببه(١).

يقول ابن منظور: «السحر: الأخذه وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر والجمع أسحار وسحور(٢) ومنه قوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف:١١٦]، أي: أخفوا عنهم عملهم».

السحر في الاصطلاح الشرعي: يطلق على عدة معان من أبرزها:

- ما لطف ودق، ومنه سحرت الصبى إذا خدعته واستملته، وكل من استمال شيئًا فقد سحره ومنه قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر:١٥]، أى: مصروفون.

(١) الأصفهاني: «غريب القرآن»، ص ٢٢٦، وانظر الجوهري: جـ ٥، ص٦٧٨.

(٢) «لسان العرب»: جـ٦ ، ص ١٨٩، مادة: (سحر).

- ما يقع بخداع وتخيلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده[(١)].

- عمل يقوم على الخفاء من خلال قدرة تؤثر في الأعين والقلوب والأبدان.

قال ابن قدامة: «السحر عُقَدٌ وَرُقَى وكلامٌ يتكلمُ به الساحر أو يكتبه أو يعمل شيئًا، فيؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة فمنه ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه وما يبغض أحدهما إلى الآخر، أو يحبب بين اثنين وهذا قول الشافعي»[(٢)].

رأي ابن تيمية:

ذهب ابن تيمية إلى أن السحر من الخوارق على سبيل الإهانة أو الفتنة بين الناس وهو حقيقي، ولولا أن السحر حقيقي لما أمر الله بالاستعاذة به في قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤][(٣)]، أي: السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن[(٤)].

رأي الشيخ محمد رشيد رضا:

ذهب رشيد رضا إلى القول بأن السحر عبارة عن تخييل يخدع الأعين لا حقيقة له في نفسه، ومن ثم يورد عدة تعريفات للسحر كلها تؤيد قوله بأنه من قبيل الصناعات

(١) انظر: محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ١، ص٣٢٥.

(٢) ابن قدامة: المغني، جـ٨، ص١٥٠.

(٣) انظر: ابن تيمية «النبوات»، ص٤٧ وما بعدها، وانظر: الطبرى اللالكائي: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، تحقيق أبو يعقوب نشأت بن كمال البصرى - تقديم الشيخ مصطفى العدوى جـ٧، ص ٧- ط.سادسة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، وانظر: د/ عمر سليمان الأشقر: «عالم الجن والشياطين»، ص ١١ وما بعدها - دار النفائس ط: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

(٤) انظر: القرطبي: «الجامع لأحكام القرآن»، ٢ / ٤٤، وانظر: الصابوني: «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»، ص ٩٩.

الخفية المكتسبة بالتعلم، والمعتمدة على الخداع البصري، ولذا يقول: «السحر إما حيلة وشعوذة، وإما صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس ويجهلها الأكثرون، فيسمون العمل بها سحرًا لخفاء سببه ولطف مأخذه»[١].

ويزيد رأيه إيضاحًا نقلًا عن شيخه الأستاذ الإمام عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢]؛ إذ يرى أن العبارة ليس فيها: «ما يدل على أن ما يتعلمونه لهذا الغرض هو مؤثر فيه بطبعه أو بسبب خفي أو بخارقة لا تعقل لها علة، ولا أنه غير مؤثر، وليس فيها بيان لما يتعلمونه هل هو كتابة تمائم، أو تلاوة رقى وعزائم أو أساليب سعادية، أو دسائس تنفير ونكاية، أو تأثير نفساني أو وسواس شيطاني»[٢].

ومن ثم يتبين أن رشيد رضا قد وافق أستاذه وبعض المعتزلة في القول بأن السحر ما هو إلا ضربٌ من التمويه والخداع وليس حقيقة كما يقول ابن تيمية ولذا يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام:٦]، مانصه: «الآية تدل على أن السحر خداع باطل وتخييل يرى مالا حقيقة له في صورة الحقائق»[٣].

---

(١) انظر: «تفسير المنار»، جـ١، ص٣٢٥.

(٢) «تفسير المنار» جـ١، ص٣٢٥ وانظر: الأستاذ الإمام محمد عبده: «تفسير القرآن الحكيم»، جـ ٤، ص ٢٤٥.

(٣) انظر: «تفسير المنار»: جـ٧، ص٣١١، وانظر: الزمخشري: «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل»، جـ١ ص ٨٦ – المطبعة الأميرية ببولاق ط: ١٣١٨هـ.

هل للسحر تأثير في الواقع؟

ذهب ابن تيمية إلى أن في الدنيا سحرا وسحرة إلا أنهم لا يضرون أحدا إلا بإذن الله[١]، ولا يمكن إنكار أن يظهر على يد الساحر خرق العادات مما ليس في مقدور البشر من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضو، إلى غير ذلك مما قام الدليل على استحالة كونه من مقدورات العباد... ولا يكون الساحر مستقلًا به، وإنما يخلق الله تعالى هذه الأشياء ويحدثها عند وجود السحر [٢].

يقول الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والصحيح أن له حقيقة، وبه قطع الجمهور، وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة»[٣]، ومن هذه الأدلة ما يلي:

أولا - الأدلة القرآنية:

١ - قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾.

[البقرة: ١٠١-١٠٢]

---

(١) انظر: ابن تيمية: «النبوات»، ص ١٨٨ وما بعدها.

(٢) القرطبي: «الجامع لأحكام القرآن»، جـ٢، ص ٤٦ باختصار.

(٣) ابن حجر العسقلاني: « فتح الباري»، جـ١٠، ص٢٢٢، وانظر: الصابوني: «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»، ص ٩٩.

قال الشوكاني: «في إسناد التفريق إلى السحرة وجعل السحر سببًا لذلك دليل على أن للسحر تأثيرًا في القلوب بالحب والبغض والجمع والفرقة والقرب والبعد»(١)

٢- قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ١-٤]، ولولا أن السحر له حقيقة لما أمر الله بالاستعاذة منه(٢).

ثانيًا - الأدلة من السنة:

١- روى البخاري في (صحيحه) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا الموبقات: الشرك بالله والسحر»(٣).

قال الحافظ: «والنكتة في اقتصاره على اثنتين من السبع هنا الرمز إلى تأكيد أمر السحر»(٤).

٢- روى البخاري في (صحيحه) عن عائشة قالت: «سحر رسول الله ﷺ رجلٌ من بني زُريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يُخيَّل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم - أو ذات ليلة - وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: «**يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجليّ، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب، قال: من طبه؟**

---

(١) الشوكاني: «تفسير فتح القدير»، جـ١، ص١٢٠.

(٢) ابن قدامة: «المغني»، جـ٨، ص١٥٠، وانظر: القرطبي في «التفسير»: جـ٢٠، ص٢٥٧، و«ابن كثير»: جـ٤، ص٥٧٣.

(٣) البخاري في «صحيحه»: كتاب «الوصايا»، باب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفتح: ١٠]، جـ٣، ص١٠١٧، حديث ٢٦١٥.

(٤) ابن حجر العسقلاني «فتح الباري»، جـ١٠، ص٢٣٢.

قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف[1] طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان» فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: «يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء، أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين» قلت: يا رسول الله، أفلا استخرجته؟ فقال: «قد عافاني الله، فكرهت أن أُثِيرَ على الناس فيه شرًا، فأمرتُ بها فدفنت». وفي رواية (مسلم) قال: «فقلت: يا رسول الله، ألا أحرقته؟!»[2].

والمعنى أنَّ اليهود اتفقوا مع لبيد بن الأعصم على سحر رسول الله ﷺ من خلال شعرات تساقطت من رأسه ولحيته عند ترجيلهما تم الحصول عليها من خلال جارية صغيرة كانت تذهب إلى بيوت النبي ﷺ، فعقد عليها سحرًا وضع في بئر ذروان، فكان النبي ﷺ يخيل إليه أنه يستطيع أن يجامع إحدى زوجاته، فإذا اقترب منها لم يستطع ذلك، فدعا النبي ﷺ ربه وألحّ في الدعاء فاستجاب الله دعاءه، وأنزل ملكين أعلماه أنه سحر، فأمر ﷺ باستخراج السحر ودفنه، وفي بعض الروايات حرقه، وقد كان هذا النوع من السحر من نوع عقد الرجل عن زوجته، ولم يمس عقله ولا سلوكياته ولا تصرفاته.

قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد دل قول الله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾، وحديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا على تأثير السحر وأنَّ له حقيقة»[3].

موقف الشيخ رشيد رضا:

نفى الشيخ رشيد رضا أن يكون للسحر أي أثر، وإنما يصنع هذا الأثر الوهم الذي صنعه الناس لأنفسهم، وقد راعه ما انتشر في المجتمع حول أثر السحر فقال: «وقد اعتاد

---

(١) الجف: وعاء الطلع وغشاؤه الذى يكنه.انظر: ابن الأثير«جامع الأصول في أحاديث الرسول»- تحقيق عبد القادر الأرناؤوط. جـ٦ ، ص ٥٣ – نشر مكتبة الحلوانى ومطبعة الملاح ودار البيان – ط: ١٣٨٩م.

(٢) «صحيح البخاري»: كتاب «الطب» باب: (السحر)، جـ٥، ص ٢١٧٤، حديث ٥٤٣٠.

(٣) ابن قيم الجوزية: «بدائع الفوائد»، جـ٢، ص٢٢٧.

الذين اتخذوا التأثيرات النفسية صناعة ووسيلة للمعاش أن يستعينوا بكلام مبهم وأسماء غريبة اشتهر عند الناس أنها من أسماء الشياطين وملوك الجان، وأنهم يحضرون إذا دعوا بها ويكونون مسخرين للداعي، ولمثل هذا الكلام تأثير في إثارة الوهم فيما عرف بالتجربة وسببه اعتقاد الواهم أن الشياطين يستجيبون لقارئه ويطيعون أمره، ومنهم من يعتقد أن فيه خاصية التأثير وليس فيه خاصية، وإنما تلك العقيدة الفاسدة تفعل في النفس الواهمة ما يغني منتحل السحر عن توجيه همته وتأثير إرادته»[١].

وعلى هذا يكون الشيخ رشيد رضا قد أنكر أن يكون السحر من خوارق العادات، إذ إنه بعد أن حكم بفساد ما يعتقده الواهمون من تسخير الشياطين وملوك الجان وحضورهم إذا دعوا بأسماء غريبة قال: «وهذا هو السبب في اعتقاد الدهماء أن السحر عمل يستعان عليه بالشياطين وأرواح الكواكب»[٢].

أبرز المآخذ على السيد محمد رشيد رضا:

يؤخذ على رشيد رضا قوله بعدم وجود تأثير للسحر في نفسه؛ وذلك لأن أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه، وذكر أنه مما يتعلم، وذكر فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا لا يمكن فيما لا حقيقة له[٣].

وما دام رشيد رضا قد ذهب إلى القول بأن السحر عبارة عن خيال لا حقيقة إلا أنه لم يستطع أن يرد حديث البخارى في سحر الرسول ﷺ، والذى روته السيدة عائشة

---

(١) «تفسير المنار»: جـ ٧، ص٣١١، وانظر: الأستاذ الإمام محمد عبده: «تفسير القرآن الحكيم ضمن الأعمال الكاملة» جـ ٤، ص ٢٤٣.

(٢) «تفسير المنار»: جـ ٧، ص٣١١.

(٣) انظر: ابن تيمية: «النبوات»، ص ١٨٨ وما بعدها.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[١]. ومن الحديث يتبين أن السحر كان خاصا بالناحية المتعلقة بإتيان النساء حيث كان يرى أنه يأتى نساءه ولا يأتيهن أى أنه ليس في العقل ولا تأثير له في العقل، ولا يقدح في أمر الوحى بل هو كسائر الأمراض.

فحديث السحر لا يقدح في شأن العقل ولا الوحى، بل المراد أنه خاص بمسألة مباشرة النساء.

يقول القاضى عياض: «وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى قوله في الحديث: «حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن» ويروي: - يخيل إليه - أى: يظهر له من نشاطه ومتقدم عاداته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتيهن ولم يتمكن من ذلك كما يعترى المسحور، وكل ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبسا في الرسالة ولا طعنا لأهل الضلالة»[٢].

وإحقاقا للحق، فإن ابن تيمية قد حالفه التوفيق في هذه المسألة؛ ذلك لأن للسحر حقيقة وتأثيرًا لكنه لا يقع إلا بإذن الله. أما ما ذهب إليه السيد محمد رشيد رضا بأنه من قبيل الخيالات والخداع، وليس له من أثر فهذا تحميل للآيات والأحاديث بما لا تحتمل.

وإذا كانت غاية ابن تيمة إبطال سيطرة الفزع على الإنسان، وحد لانتشاره في الأمة، وذلك عن طريق الثقة الكاملة في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ودوام اللجوء إليه، فيعرف الإنسان ضعفه إلى جانب قوة سيده، وفقره إلى غناه، وجهله إلى علمه، فالسحر لا يؤثر إلا بإذن

---

(١) سبق ذكر الحديث في ص ٤٩ من البحث.

(٢) «تفسير المنار»: جـ ١٤، ص ١٧٥.

الله، ومن ثم كانت الاستعاذة بالله من شره، وكانت غاية السيد محمد رشيد رضا رفع الفزع عن العوام الذي يخلفه الوهم، وقد بدا ذلك واضحًا من قوله: فإن ما يلحظ على الاتجاهين: أنهما يصلان إلى غاية واحدة، وهي رفع الفزع والتخلف والتدهور، ولكن الأول اعتمد على النص، والثاني اعتمد على العقل، لذا كان الرأي الأول هو الأولى بالقبول وهو الأسلم والأحكم، والله أعلم.



المبحث الثالث

المسائل الخلافية بين ابن تيمية والشيخ محمد رشيد رضا المختصة بالملائكة والجن والشياطين

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

* المطلب الأول- الملائكة.
* المطلب الثاني- الجن.
* المطلب الثالث- الشياطين.



المطلب الأول
الملائكة

جاء في (لسان العرب): «الملائكة جمع ملك، وأصله مألك من الألوكة وهى الرسالة»[١].

وقال صاحب (التعريفات): «الملك جسم لطيف نورانى يتشكل بأشكال مختلفة»[٢].

وقيل: «إن الملائكة جواهر مقدسة عن طلب الشهوة وكدورة الغضب، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون، طعامهم التسبيح، وشرابهم التقديس، وأنسهم بذكر الله تعالى، وفرحهم بعبادته، خلقوا على صور مختلفة، وأقدار متفاوتة لإصلاح مصنوعاته، وإسكان سماواته»[٣].

حكم الإيمان بهم:

يجب الإيمان بالملائكة[٤] إذ الإيمان بهم هو الركن الثانى من أركان الإيمان ولا يقبل إيمان المرء إلا إذا آمن وأيقن بوجودهم إجمالا، وبمن ذكرت أسماؤهم تفصيلا مثل: جبريل وميكائيل وإسرافيل.. كما يجب الإيمان بصفاتهم وطبائعهم ووظائفهم

---

(١) ابن منظور: «لسان العرب»، جـ١، ص ١٨٤.

(٢) الجرجانى: «التعريفات»، ص ٢٢٩.

(٣) القزوينى: «عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات»، جـ٢، ص ٢٥٩مذيلا على كتاب «حياة الحيوان الكبرى» للدميرى ط: دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان ط.ثانية ١٩٩٩م، وانظر: السيوطى «الحبائك في أخبار الملائك»، تحقيق مصطفى عاشور، ص ١٣، نشر مكتبة القرآن بالقاهرة، بدون.

(٤) انظر: ابن تيمية: «مجموع الفتاوى»، جـ٤، ص ١١٨ وما بعدها، وانظر: محمد رشيد رضا – «مجلة المنار»، جـ ٢٩، ص ٦٦٠، الإمام الطحاوى: «العقيدة الطحاوية»، ص ١٧، وابن أبى العز: «شرح العقيدة الطحاوية»، ص ٥٧٧، وانظر: أبو بكر الجزائرى: «عقيدة المؤمن»، ص ١٩٦.

وخصائصهم، وهذا الإيمان قائم على النقل أولًا، وأما العقل فلا دليل لديه على هذا النوع من الموجودات، وأيضًا لا دليل على نفيه، وقد نص القرآن الكريم والسنة المطهرة على الإيمان بالملائكة وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وفى الحديث الشريف يقول سيدنا محمد ﷺ جوابًا عن سؤال جبريل عن معنى الإيمان:«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره...»[١]. فالإجماع قائم بين جمهور العلماء على وجوب الإيمان بالملائكة، ولذا يقول الإمام الطحاوى:

ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين[٢]

ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين

ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين[٣]

ويضيف رشيد رضا قائلًا: «الإيمان بالملائكة هو الركن الثانى من أركان الإيمان، فيجب الإيمان بهم إجمالًا، وبمن وردت النصوص بأسمائهم أو صفاتهم تفصيلا»[٤].

---

(١) مسلم في «صحيحه» بشرح النووي، كتاب «الإيمان»، باب: (بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات القدرة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ) جـ١، ص ١٤٤ حديث رقم ٨.

(٢) الإمام الطحاوى: «العقيدة الطحاوية»، ص ١٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) محمد رشيد رضا: «مجلة المنار»، م٢٩، ص٦٦٠.

من هم الملائكة :

يسمى عالم الملائكة بالملأ الأعلى، وقد استأثر الله تعالى في علمه بحقيقة الملائكة وكيفية خلقه إياهم، كما استأثر تعالى بعلم الكثير من أحوالهم، فالملائكة خلق غيبى لا نعرف حقيقته وإنما نؤمن به بإخبار الله تعالى، وهذا مسلك كل من شيخ الإسلام ابن تيمية وصاحب المنار(١).

صفات ووظائف الملائكة :

لقد وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ملائكته في كتابه عَزَّوَجَلَّ بصفات متعددة منها:

- الطاعة التامة لأوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والدأب على ذكره وتسبيحه وحمده، قال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى: ٥].

- العبودية لله عَزَّوَجَلَّ فليسوا أولادا ولا أندادا له تعالى ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

- القدرة على التشكل والظهور بمظهر البشر بإذن الله عَزَّوَجَلَّ لقوله تعالى عن مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ: ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: ١٧]. والأحاديث التي تثبت أن النبي ﷺ كان يرى جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على هيئة رجل كثيرا، وأنه كان يتمثل على صورة دحية الكلبي(٢).

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: ابن تيمية: «مجموع الفتاوى»، جـ٤، ص ١٢٠ وما بعدها، وانظر: محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ٧، ص ٣١٦ وما بعدها، وانظر: د/ محمد سعيد رمضان البوطي: «كبرى االيقينيات الكونية»، ص

وأما وظائفهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فمتعددة ومتنوعة ورد القرآن الكريم بذكر كثير منها فمنهم الموكل بالوحى وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، ومنهم حملة العرش، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧]، ومنهم الموكل بالصور وهو إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وغير ذلك من الوظائف التي أعدهم الله لها، ووكلهم بها لا نثبت منها شيئًا، ولا نعلمه إلا من طريق الوحى[(١)].

ذلكم مجمل اعتقاد ابن تيمية في الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وهو مستمد من الكتاب والسنة الصحيحة، أما البحث عما وراء ذلك من ماهية أجسامهم أو كيفية أجنحتهم ونحو ذلك فهذا مما لا يجوز الخوض فيه لعدم الدليل.

أبرز مواضع الخلاف بين ابن تيمية والشيخ رشيد رضا في هذه المسألة :

لقد خالف الشيخ رشيد رضا ابن تيمية في هذه المسألة (الملائكة) وذلك لما له من آراء وأفكار مغايرة لما عليه ابن تيمية ومنها:

(أ) اضطرابه في حقيقة الملائكة:

على الرغم من أن صاحب المنار قد سلك مسلك ابن تيمية في قوله بأن الملائكة خلق غيبى لا نعرف حقيقته، وإنما نؤمن به بإخبار الله تعالى إلا أنه قد أثار عدة تساؤلات حول حقيقة الملائكة تخفى علينا مخالفا بذلك مسلك ابن تيمية إذ يقول في بداية التساؤلات:

---

٢٩٤ - دار الفكر، ط٣ لعام ١٣٩٤هـ .

(١) انظر: ابن تيمية: «مجموع الفتاوى»، جـ١٥، ص ٢٦، وانظر: محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ٧، ص ٣١٦.

«ولا يعرف أهل الغفلة لو أن مسكينا من عبدة الألفاظ من أشدهم ذكاء وأذربهم لسانا أخذ بما قيل له إن الملائكة أجسام نورانية قابلة للتشكل، ثم تطلع عقله إلى أن يفهم معنى نورانية الأجسام، وهل النور وحده له قوام يكون به شخصا ممتازا بدون أن يقوم بجرم آخر كثيف، ثم ينعكس عنه كذبابة المصباح أو سلك الكهرباء ومعنى قابلية التشكيل؟ وهل يمكن للشئ الواحد أن يتقلب في أشكال من الصور مختلفة حسبما يريد وكيف يكون ذلك؟ ألا يقع في حيرة، ولو سئل عما يعتقده من ذلك ألا يحدث في لسانه من العقد مالا يستطيع، حله أليس مثل هذه الحيرة يعد شكا؟»[1].

كما يشك في التعريف التقليدى أيضًا في معرض آخر من غير تصريح بذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [قٓ:١٧]... ونحو ذلك من الآيات فيقول: «أفلا تزعم أن لله ملائكة في الأرض وملائكة في السماء؟ هل عرفت أين تسكن ملائكة الأرض؟ وهل حددت أمكنتها ورسمت مساكنها؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك؟ ومن يكون عن يسارك؟هل ترى أجسامهم النورانية تضئ لك في الظلام أو تؤنسك إذا هجمت عليك الأوهام؟ فلو ركنت إلى أنها قوى أو أرواح منبثة فيما حولك وما بين يديك وما خلفك، وان الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك، وبالعبارة التي تلقفتها عنهم كيلا يوحشك بما يدهشك، وترك لك النظر فيما تطمئن إليه نفسك من وجوه تعرفها، أفلا يكون ذلك أروح لنفسك، وأدعى إلى طمأنينة عقلك؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئا من وراء حجاب ووقفت على سر من أسرار الكتاب؟»[2].

---

(١) محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ١، ص ٢٧٣.

(٢) محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ١، ص ٢٧٣.

ونتساءل..؟ ماذا يريد محمد رشيد رضا بهذا التأويل وهذا المفهوم؟ هل يريد أن يقول: إن القرآن لم يخبرنا عن الحقيقة في أمر الملائكة، بل أخبرنا بألفاظ كانت مألوفة ومعروفة حتى لا تصيبنا الوحشة والدهشة إذا ما أخبرنا بحقيقتهم، وأن القرآن ترك لنا النظر في الوصول إلى ما تطمئن إليه نفوسنا حتى ولو وصلت إلى ما يخالف القرآن؟! ثم إنه يستحث الآخرين على ترك الخوض في الحقيقة، ومع ذلك يستخدم ألفاظ الجلوس والأجسام مما يعتبر خوضا في حقيقة المخلوقين للملائكة، وقد نهى هو عن ذلك، ولا ريب فهذا ما يدل عليه كلامه شاء ذلك أم أبى، وأحسبه أنه لا يأبى ذلك؛ لأن ألفاظه ناطقة صريحة ومخالفة لمسلك ابن تيمية رضوان الله عليه.

يضاف إلى ما سبق: هل الإنسان يستطيع أن يتعرف على حقيقة كل الكائنات من حوله، إن رشيد رضا نفسه قد أثبت وجود مواد لطيفة خفية، ومع ذلك يعترف العلم بوجودها، فلم استساغ رشيد رضا ذلك في المادة، ولم يستسغه في هذا الخلق العظيم؟

فلقد أثبت العلم وجود الذرة بالرغم من عدم رؤيتها، والاستدلال عليها من خلال آثارها فحسب، فالذرة (عبارة عن نواة موجبة تدور حولها الإلكترونيات سالبة الشحنة، وأن حجم هذه النواة يختلف من عنصر لآخر)[١].

والذرة صغيرة جدًا، إذ إنك لو استعملت مجهرًا الكترونيًا يكبّر مئتي ألف مرة لما استطعت رؤيتها[٢] ومع ذلك آمن بها العلم وأثبتها، وآمن بضرورة تجسمها، وهذا كله نتيجة استنباط لا معاينة وهذا في الأمور الكونية.

---

(١) د / تقي على موسى: «الذرة»، ص ٢٥ - دار الشئون والثقافة العامة - بغداد، ط: ١ (١٩٩٣م).

(٢) المرجع السابق: ص ١٨.

فماذا عن خلق أخبرنا عنه النبي ﷺ بأنه خلق من نور، وتعددت الآثار التي تدل على ظهور الملك للنبي ﷺ في صور مختلفة [(١)]، وهذا يدل على استطاعة هذا الخلق على التجسم؟ فحينما يقال عنهم إنهم أجسام نورانية قادرة على التشكل، فهذا القول مستمد من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة، وعلى هذا فأي ظهور للأنبياء كان يقصد صاحب المنار متأثرا بالإمام محمد عبده مادام الملائكة لا يتشكلون؟

موقف الشيخ محمد الصادق عرجون [(٢)] من صاحب (المنار):

يرى الشيخ محمد الصادق عرجون أن اعتراض صاحب المنار السابق واه، بل وخروج عن منهجه الذى خطه لنفسه بعدم الخوض في حقيقة الملائكة، ولذا يقول واصفا مذهبه: «إن هذا الطريق في تفسير آيات القرآن الحكيم بتسلط التأويل على كل ما يتعاصى فهمه على بعض العقول وإحالة أو استبعاد ظاهر المعنى على ضرب من التمثيل،

---

(١) من الآيات الدالة على ظهور الملك وتشكله منها قوله تعالى: ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [١٣١:٢]. وهناك أحاديث تبين ظهور جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبي ﷺ في صور مختلفة منها: «**بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني، فأنزل الله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر :١-٥] **فحمي الوحي وتتابع**». البخاري، كتاب «بدء الوحي»، باب: (كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ)، «فتح الباري» ١ / ٣٧، حديث ٨.

(٢) فضيلة العلامة محمد الصادق عرجون، ولد سنة١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م في بلدة إدفو، وتخرج في الأزهر الشريف عام ١٩٢٩ م ونال شهادة التخصص سنة ١٩٣٥ م وعين مدرسًا بالمعاهد الأزهرية حتى أصبح شيخًا لمعهد دسوق الديني، ثم شيخًا لمعهد أسيوط الديني، ثم شيخًا لمعهد الإسكندرية، وأصبح عميدًا لكلية أصول الدين عام ١٩٦٤ م، ورحل للعمل في الكويت والسودان والجماهيرية الليبية والمدينة المنورة وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وفي كل ذلك أنتج كتبًا جعلته في مصاف العلماء الكبار والمؤرخين العظام، انتقل إلى رحمة الله في سنة ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨١ م.

انظر: د / محمد الصادق عرجون، «نحو منهج لتفسير القرآن»: ص٨ وما بعدها - الدار السعودية للنشر بجدة - ط.أولى ١٣٩٢هـ.

هو الذى يخشى أن ينفذ منه (المتقرمطون)[1] إلى تحريف كلم الله عن مواضعها ابتغاء فتنة الجماهير من عامة المؤمنين... إن هذا القرآن العظيم أنزله الله تعالى بلسان عربى مبين هدى للناس ورحمة، ولم ينزله بالإشارات والرموز والإيحاءات...»[2].

ومهما كانت غاية أصحاب هذا التأويل، وأنهم حاولوا تقريب العقيدة إلى الغير ،فإنها على حد تعبير البعض في نقده لهم محاولة يائسة «أخرجتهم من عقيدة السلف – ومنهم ابن تيمية– العقيدة الصحيحة في الإيمان بالملائكة إلى عقيدة باطلة وغير مقنعة أيضًا لأولئك الماديين، فضاع المنهزمون بين العقيدتين كالعنز الجرباء في الشمأل[3] البليل[4]».

(ب) وصفه للملائكة بالنواميس الطبيعية والقوى الروحانية :

بداية نقول: «نظرا لوجود العلاقة الوثيقة بين رشيد رضا وشيخه الأستاذ الإمام/ محمد عبده لأنه كان ترجمانا لأفكاره وشارحا لفلسفته في الإصلاح، ومسجلا لدروسه في التفسير، وناشرا لمقالاته في المنار بما في ذلك العقليات والشرعيات وشئون الإصلاح فقد سار على نهجه مؤيدا قوله في وصفه للملائكة بالنواميس الطبيعية والقوى الروحانية فعند تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾ [البقرة:٣٤]. يقول الشيخ رشيد رضا: «قال الأستاذ: وذهب بعض المفسرين مذهبا آخر في فهم معنى الملائكة وهو أن مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من

---

(١) القرامطة: طائفة تنسب إلى الفرج بن عثمان الملقب بقرمط، كانت له آراء غريبة لا تمت إلى الإسلام بصلة. انظر: الطبرى في «تاريخه»: جـ١٠، ص ٢٥٢٣ – دار المعارف ط. ثالثة، بدون.

(٢) د / محمد الصادق عرجون: «نحو منهج لتفسير القرآن»، ص٣٩ وما بعدها.

(٣) الشمأل: هي الريح التي تهب من ناحية القطب.انظر: الفيروزآبادى: «القاموس المحيط»، جـ٣، ص ٣٩٠.

(٤) البليل: الريح التي فيها ندى. انظر: الفيروزآبادى: «القاموس المحيط»، جـ١، ص ٤٨٩.

إنهاء نبات وخلقة حيوان وحفظ إنسان وغير ذلك فيه إيماء إلى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة وهو أن حفظ هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة، وكذلك يقال في الحياة والإنسان، فكل أمر كلى قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في إيجاده فإنما قوامه بروح إلهى سمى في لسان الشرع ملكا، ومن لم يبال في التسمية بالتوفيق يسمى هذه المعانى القوى الطبيعية إذا كان لا يعرف من عالم الإمكان إلا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة، والأمر الثابت الذى لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمرا هو مناطها وبه قوامها ونظامها، لا يمكن لعاقل أن ينكره، وإن أنكر غير المؤمن بالوحى تسميته ملكا، وزعم أنه لا دليل على وجود الملائكة أو أنكر بعض المؤمنين بالوحى تسميته قوة طبيعية أو ناموسا طبيعيا لأن هذه الأسماء لم ترد في الشرع فالحقيقة واحدة والعاقل من لا تحجبه الأسماء عن المسميات»[١].

ولم يكتف الشيخ محمد عبده بهذا الوصف للملائكة بل إنه لم يستبعد أن تكون الملائكة هي تلك النوازع التي نحس بها عندما نتردد بين فعل شيء أو تركه فيقول: «يشعر كل من فكر في نفسه، ووازن بين خواطره عندما يهم بأمر فيه وجه للحق أو الخير ووجه للباطل أو للشر بأن في نفسه تنازعا، كأن الأمر قد عرض فيه على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع... واحد يقول افعل وآخر يقول لا تفعل حتى ينتصر أحد الطرفين ويترجح أحد الخاطرين، فهذا الشيء الذى أودع في أنفسنا ونسميه قوة وفكرا، وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه، وروح لا تكتنه حقيقتها لا يبعد أن يسميه الله تعالى ملكا

---

(١) محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ١، ص٢٢٢.

(أو يسمى أسبابه ملائكة) أو ما شاء من الأسماء، فإن التسمية لا حجر فيها على الناس، فكيف يحجر فيها على صاحب الإرادة المطلقة أو السلطان النافذ والعلم الواسع»[١].

وقد أيد رشيد رضا كلام أستاذه قائلًا: «وأقول: إن الإمام الغزالى سبق إلى بيان هذا المعنى وعبر عنه بالسبب، وقال: إنه يسمى ملكا، فإنه بعدما قسم الخواطر إلى محمود ومذموم قال: ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة، ثم إن كل حادث فلابد له من محدث، ومهما اختلفت الحوادث، دل ذلك على اختلاف الأسباب، هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الأسباب، فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار، وأظلم سقفه بالدخان، علم أن سبب السواد غير سبب الاستنارة، وكذلك أنوار القلب وظلمته سببان مختلفان، فسبب الخاطر الداعى إلى الخير يسمى ملكا، وسبب الخاطر الداعى إلى الشر يسمى شيطانا، واللطف الذى يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقا، والذى يتهيأ به لقبول الشر يسمى إغواء وخذلانا، فإن المعانى المختلفة تحتاج إلى أسامي مختلفة»[٢].

الرد على رشيد رضا :

- إن هناك فرقا بين ما قاله الغزالى، وما قاله الأستاذ الإمام وتلميذه رشيد رضا فالغزالى يرى أن سبب خواطر الخير ملائكة، وسبب خواطر الشر شياطين، أما محمد عبده وتلميذه فيرون أن خاطر الخير نفسه ملك وخاطر الشر شيطان.
- إن هذا التأويل الذى سار عليه الشيخ محمد رشيد رضا من تأويله للملائكة بالقوى الروحانية والقوى المعنوية والنواميس الطبيعية هو تأويل مغاير لعقيدة تقى الدين ابن

---

(١) الأستاذ الإمام محمد عبده: «تفسير القرآن الحكيم» (ضمن الأعمال الكاملة)،جـ ٤، ص ١٣٥، وانظر: «تفسير المنار»: جـ١، ص٢٢٢.

(٢) «تفسير المنار»: جـ١، ص٢٢٣، وانظر: الغزالى: «إحياء علوم الدين»، جـ٣، ص٣٩.

تيمية في الملائكة، إذ الملائكة خلق من خلق الله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون والقرآن والسنة لم يخبرا عن حقيقتهم، فهم من عالم الغيب الذى نؤمن به ولا نبحث عنه. كما أن هذا التأويل يعد بمثابة محاكاة لبعض الفلاسفة الذين فسروا الجن بنوازع الشر، وفسروا الملائكة بنوازع الخير، وإلى هذا أشار العلامة ابن تيمية قائلا: «زعمت طائفة من الفلاسفة أن المراد بالجن نوازع الشر في النفس الإنسانية وقواها الخبيثة، كما أن المراد بالملائكة نوازع الخير فيه»[١].

يضاف إلى ما سبق أن هذا التأويل مخالف لمنهج صاحب المنار حيث إن منهجه الوقوف عند المبهمات وترك الإطناب، فهو بخوضه في حقيقة الملائكة خالف منهجه الذى رسمه لنفسه، ومن ثم فتأويله غير مقبول وإن حاول أن يروج له بجعله الأمور التي وردت في الآية من قبيل الأمر التكوينى لا التكليفي[٢].

(جـ) زعمه أن إبليس فرد من أفراد الملائكة وليس بينه وبين الجن فرق:

قال رشيد رضا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] أي: سجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس وهو فرد من أفراد الملائكة كما يفهم من الآية وأمثالها في القصة إلا آية ﴿ الكهف ﴾ فإنها ناطقة بأنه كان من الجن: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف: ٥٠]، وليس عندنا دليل على أن بين الملائكة والجن فصلا جوهريًا

---

(١) ابن تيمية: «النبوات»، ص ٢٧٦.

(٢) د/ محمد حسين الذهبى: «التفسير والمفسرون»، جـ٢، ص ٥٤٦، وراجع الشيخ يوسف الدجوى: «صواعق من نار في الرد على صاحب المنار»، ص ١٣ وما بعدها، وانظر: د / محمد أبو شهبة «دفاع عن السنة» – مكتبة السنة القاهرة، ط: أولى عام ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م.

يميز أحدهما عن الآخر، وإنما هو اختلاف أصناف عندما تختلف أوصاف كما ترشد إليه الآيات، فالظاهر أن الجن صنف من الملائكة[(١)].

الرد على دعوى صاحب المنار:

إن قول رشيد رضا بأن إبليس فرد من أفراد الملائكة غير مقبول ومردود عليه للأسباب الآتية:

- أن الملائكة معصومون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦]، وأما الجن فمنهم المؤمن ومنهم الكافر والمطيع والعاصي وليس لهم عصمة لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ [الجن:١١]، وإبليس قد عصى الله، فإبليس ليس من الملائكة، ولذا يقول القاضي عياض: «ومما يذكرونه قصة إبليس، وأنه كان من الملائكة ورئيسا فيهم، ومن خزان الجنة إلى ما حكوه، وهذا لم يتفق عليه، بل الأكثر ينفون ذلك، وأنه أبو الجن كما أن آدم أبو الإنس»[(٢)]. فإبليس لم يكن من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس[(٣)].

---

(١) محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ١، ص ٢٢٠.

(٢) القاضي عياض: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، جـ٢، ص ١٧٢، وانظر: ابن تيمية: «مجموع الفتاوى»، جـ٤، ص١٣٢.

(٣) انظر: بدر الدين الشبلي: «آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان»، ص ١٨٩، مؤسسة الكتب الثقافية، ط. أولى١٤١٥هـ / ١٩٨٣م، وانظر: الطبرى: «جامع البيان في تفسير القرآن»، ص ١٨٩، دارالمعرفة، بيروت ١٤٠٣ـ١٩٨٣م، وانظر: القرطبى: «الجامع لأحكام القرآن»، جـ١، ص ٢٩١.

- أخبر المولى تعالى أنه يسأل الملائكة يوم القيامة عن المشركين فيقول لهم: ﴿أَهَٰؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠]، فتقول الملائكة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ: ٤١]، فثبت بهذا أن الملائكة غير الجن[1].

- أن الملائكة لا ذرية لهم، فقد نفى المولى تعالى عنهم الأنوثة، ولا يوصفون بذكورة فقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ [الكهف: ٥٠].

- كما أنه تعالى قال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠] وهي صريحة في إثبات كونه من الجن[2].

- أن الملائكة مخلوقون من نور وإبليس مخلوق من نار؛ لقوله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار**»[3].

(١) انظر: السبكي: «طبقات الشافعية» - تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، جـ٤، ص ٣٢٣ - ط: أولى عيسى الحلبي وأولاده، ط. ١٩٦٦م.

(٢) انظر: ابن تيمية: «مجموع الفتاوى»، جـ٤، ص١٣٥، وانظر: سيد عبد الرحمن حسين - «الجن»، ص ٩٨ ط. دار إحياء الكتب العربية، ط: أولى، بدون.

(٣) «صحيح مسلم بشرح الإمام النووي» - «كتاب الزهد والرقائق» - باب: (أحاديث متفرقة)، جـ٨، ص ٢٢٦، حديث رقم ٧٦٨٧، وانظر القرطبي في «تفسيره»: جـ١٠، ص ٢٩



المطلب الثاني
الجن

الجن عالم من العوالم، واسم للنوع الذي خلقه الله يأتي تحته لقب وهو الشيطان الذي شطن وابتعد عن الحق، فكل شيطان جني وليس كل جني شيطان، والملائكة يفعلون ما يؤمرون ولا يعصون الله أبدًا، والإنسان يتسم بالظهور للعيان، وكل منهم قد ذكره الله في القرآن ثمان وثمانين مرة، وهذا من إبداع العدد.

وقبل الخوض في هذه المسألة يبين الباحث مفهوم الجن لغة واصطلاحا وذلك فيما يلي:

الجن لغة: تنطوي كلمة الجن ومشتقاتها في اللغة العربية على معنى الاستتار والخفاء.

قال ابن منظور: «جن الشيء يجنه جنا»: ستره. وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك[١]، وجن الليل جنونه وجنانه: شدة ظلمته وادلهامه، وقيل: اختلاط. ظلامه لأن ذلك كله ساترًا[٢].

وقال الراغب الأصفهاني: «جنه الليل وأجنه وجن عليه فجنه ستره وأجنه جعل له ما يجنه... وجن عليه كذا ستره عليه. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٦].

والجنة كل بستان ذى شجر يستر بأشجاره الأرض. والجنان القلب لكونه مستورا عن الحاسة، والجنون حائل بين النفس والعقل، أى سمى بذلك لستره العقل وحجبه. ومن ثم سمى الجن جنا لاستتارهم واختفائهم عن العيون وعدم ظهورهم للناس، ولذا

---

(١) ابن منظور: «لسان العرب»، جـ١٣ـ٩٢.

(٢) ابن منظور: «لسان العرب»، جـ١٣ـ٩٢.

يقول الجوهري: «الجن خلاف الإنس، والواحد: جني. يقال: سميت بذلك لأنها تتقى ولا ترى»[(١)].

اصطلاحًا: قد عرف الجن بتعريفات كثيرة منها:

عرف الشيخ سيد سابق الجن قائلًا: « الجن نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الإنسان، ولكنهم مجردون عن المادة البشرية، مستترون عن الحواس، لا يرون على طبيعتهم، ولا بصورتهم الحقيقية، ولهم قدرة على التشكل»[(٢)].

ويضيف رشيد رضا قائلًا: «إن الجن خلق خفى مستتر من عالم الغيب أثبتتهم جميع الأديان...»[(٣)]، ويقول: «الجن عالم خفى أو غيبى أخبرنا بوجوده الأنبياء المؤيدون من خالق الكون بالوحى والإلهام فيجب التصديق بذلك»[(٤)].

ولاريب فالتعريف الأول تعريف جامع شامل؛ وذلك لاشتماله على كون الجن قادرين على التشكل ولاشتماله على كونهم مكلفين، وهذا ما لم يتوفر في التعريفين الثانى والثالث.

حكم الإيمان بوجود الجن:

ذهب ابن تيمية إلى ضرورة الإيمان بوجود بالجن، غير أن الإيمان بهم ليس ركنا من أركان الإيمان التي وردت في حديث الإيمان، وإنما هو فرع عن الإيمان بالملائكة فهم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم، وإنما نجد في أنفسنا أثرا ينسب إليهم، والإيمان بوجودهم وجودا حقيقيا نطق به القرآن الكريم والسنة النبوية، وعليه إجماع أكثر العلماء من السلف وغيرهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(١) الجوهرى: «الصحاح»، جـ٥، ص٢٠٩٣.

(٢) «العقائد الإسلامية»: ص ١٣٣ وراجع: د/ ولى زار بن شاة زالدين «الجن في القرآن والسنة»، ص ١٦ دار البشائر الإسلامية، ط.أولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(٣) محمد رشيد رضا: «مجلة المنار»، جـ٣٢، ص ٧٦٧ وما بعدها.

(٤) محمد رشيد رضا: «مجلة المنار»، جـ٧، ص ٧٠٢ وما بعدها.

وفى الحديث الشريف الذى رواه (مسلم) قال رسول الله ﷺ «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»(١).

ويقول ابن تيمية: «وجود الجن ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة»(٢). ويضيف قائلًا: «لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا في أن الله أرسل محمدا ﷺ إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك، كما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك...كالجهمية والمعتزلة، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك؛ وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواترا معلوما بالاضطرار يعرفه الخاصة والعامة، ولم ينكر الجن إلا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة ونحوهم»(٣).

كما يضيف رشيد رضا قائلًا: «وطريقتنا فيهم الإيمان بكل ما أخبر الله تعالى من أمرهم في كتابه وبكل ما صح عن رسوله ﷺ لمن علم به...»(٤).

وهذا الموقف من رشيد رضا في مسألة الإيمان بوجود الجن موقف صائب موافق لما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، فوجود الجن قطعى لثبوته بهذه الأدلة، ولكن وقع الخلاف بعد إثباتهم في مسائل منها مسألة تلبسهم بالإنس كما سيأتى بيان ذلك.

---

(١) مسلم في «صحيحه بشرح النووى»: كتاب «صفة المنافقين»، باب: (تحريش الشيطان وبعث سراياه لفتنة الناس)، جـ٤، ص٢١٦٧، حديث ٢٨١٤.

(٢) ابن تيمية: «مجموع الفتاوى»، ١٩/ ١٠، وانظر د/ عمر سليمان الأشقر: «عالم الجن والشياطين»، ص ١٣ وما بعدها.

(٣) المرجع السابق باختصار وتصرف يسير.

(٤) محمد رشيد رضا: «مجلة المنار»، جـ٣٢، ص ٧٦٧ وما بعدها.

صفات الجن:

- ورد من صفاتهم أن الله أرسل إليهم رسلًا؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

- وأن منهم المؤمن والكافر؛ لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [الجن: ١١]، ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ ﴾ [الجن: ١٣].

- وأنهم يروننا من حيث لا نراهم؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وغير ذلك من الآيات التي أبرزت أوصافهم فهم كعالم الملائكة من المغيبات التي أمرنا بالإيمان بهم، ولم نكلف رحمة بنا أن نروى من أخبارها أكثر مما ذكره الوحى لنا، فلنعقل ما يمكن، ولنكل الأمر فيما لا يمكن أن نعقله إلى البارى جل في علاه، فالجن، فيهم المسلم والكافر، فالمسلمون منهم يعاونون الإنس المسلمين كما يعاونون المسلمون بعضهم بعضا، والكفار مع الكفار، والجن الذين يطيعون الإنس وتستخدمهم الإنس ثلاثة أصناف أعلاها أنهم يأمرونهم بما أمر الله به رسله، فيأمرونهم بعبادة الله وحده وطاعة رسله[1].

ذلكم مجمل معتقد ابن تيمية في أمر الجن، ولا يصفهم بأكثر مما وصفهم به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ لأنهم من أمور الغيب التي لم نكلف بمعرفتها رحمة بنا، فلقد كشف الزمن أن عالم الغيب إنما هو حجر محجوزا بالنسبة للعقل البشرى، فلن يأتى بوصفه العقل البشرى ولا يلج بابه، وتقدس عالم الغيب عن أن يمسك بمفتاحه، أو يكشف عن مساتيره إلا من أذن له الله من نبى مكرم أو من رسول مأذون.

---

(١) ابن تيمية: «النبوات»، ص٢٦١، وانظر: أبو بكر الجزائرى: «عقيدة المؤمن»، ص ٢١٠، وانظر: د/ عبد الحليم محمود: «الإسلام والعقل»، ص٤٥، دار المعارف، ط: ثالثة، بدون.

رأي الشيخ محمد رشيد رضا:

اضطرب الشيخ رشيد رضا حول موقفه من هذه المسألة، فقد أكد أولًا تمسكه بمذهب السلف مع عدم الخوض في حقيقة هذا العالم فقال عنهم: «وعلى كل حال فجميع هؤلاء المسميات بهذه الأسماء من عالم الغيب لا نعلم حقائقها ولا نبحث عنها، ولا نقول بنسبة شيء إليها مالم يرد لنا فيه نص قطعى عن المعصوم ﷺ»[(١)]، لكنه عرفهم بالتعريف الأول الذى سبقت الإشارة إليه، ولم يكتف بهذا، بل ذهب إلى المبالغة في الإسراف في تأويلهم مجاراة للغربيين الماديين الذين لا يؤمنون بالغيبيات، وزعم بأنهم نوع من الميكروبات فقال: «يصح أن يقال إن الأجسام الحية الخفية التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة وتسمى بالميكروبات يصح أن تكون نوعا من الجن، وقد ثبت أنها علل لأكثر الأمراض، قلنا ذلك في تأويل ما ورد من أن الطاعون من وخز الجن، على أننا نحن المسلمين لسنا في حاجة إلى النزاع فيما أثبته العلم وقرره الأطباء، أو إضافة شيء إليه مما لا دليل عليه لأجل تصحيح بعض الروايات الآحادية»[(٢)].

الرد على الشيخ محمد رشيد رضا:

إن هذا التأويل الذى سار عليه الشيخ محمد رشيد رضا من تأويله للميكروبات والجراثيم على أنها نوع من أنواع الجن هو تأويل غير مقبول ومردود عليه للأسباب الآتية:

أولًا - إن هذه التأويلات مغايرة لعقيدة ابن تيمية في الجن، إذ الجن خلق من خلق الله والقرآن والسنة لم يخبرا عن حقيقتهم، فهم من عالم الغيب الذى نؤمن به ولا نبحث عنه، بل إن عالم الجن كعالم الملائكة من الأمور الغيبية التي نؤمن بها ولا نراها، ولا يصح أن نخوض في حقيقتها إلا بدليل.

(١) «مجلة المنار»: م١١، جـ٨، ص ٥٨٦.

(٢) محمد رشيد رضا في «تفسيره»: جـ٣، ص٨٠.

ثانيًا - كما أن هذا التأويل يعد بمثابة محاكاة لبعض الفلاسفة الذين فسروا الجن بنوازع الشر، وفسروا الملائكة بنوازع الخير، وإلى هذا أشار العلامة ابن تيمية قائلًا: «زعمت طائفة من الفلاسفة أن المراد بالجن نوازع الشر في النفس الإنسانية وقواها الخبيثة، كما أن المراد بالملائكة نوازع الخير فيه»[(١)].

ثالثًا - يضاف إلى ما سبق أن هذا التأويل مخالف لمنهج صاحب المنار حيث إن منهجه الوقوف عند المبهمات وترك الإطناب، فهو بخوضه في حقيقة الجن خالف منهجه الذى رسمه لنفسه بسلوك مسلك السلف، ومن ثم فتأويله غير مقبول.

رابعًا - رفض بعض العلماء كالشيخ يوسف الدجوي[(٢)] هذا التأويل من صاحب المنار؛ وذلك لأن عالم الجن كعالم الملائكة - كما مر - وهناك فارق بين الجن والجراثيم فالجن لا يراهم الإنسان في صورهم التي خلقوا عليها لا بالمكبرات ولا بغيرها، أما الجراثيم والميكروبات فهناك وسائل ليراها الإنسان بها[(٣)].

ومن ثم يتبين أن الغيب لا يمكن إدراكه إلا عن طريق الوحى، فليعقل الإنسان ما يعقله وليكل الأمر فيما لا يعقله إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو القادر على أن يعرفه مستقبل الزمان من أمره، ويكشف له من مكنون سره ما يكون عقدة اتصال بين العلم الصحيح والوحى.

---

(١) ابن تيمية: «النبوات»، ص ٢٧٦.

(٢) الشيخ يوسف الدجوى: ولد في قرية دجوي بمحافظة القليوبية سنة ١٨٧٠م. وقد كف بصره صغيرًا ودخل الأزهر ونال شهادة العالمية، ثم عمل بالتدريس بالأزهر، وكان لعلمه العميق وفهمه الناضج وأسلوبه البليغ أثر عميق في اجتذاب الطلاب إلى الدراسة والالتفاف حوله، وله كتابات غزيرة وواضحة في شتى الأمور الإسلامية وأهمها «رسائل السلام»، وقد نشر عنه كتاب مقالات وفتاوى بعد مماته. توفى عام ١٩٤٨م عن عمر يناهز ٧٨ عامًا. - انظر: د/ محمد عمارة: « مسلمون ثوار»، ص ٢١١.

(٣) نظر: الشيخ يوسف الدجوى: «صواعق من نار في الرد على صاحب المنار»، ص ١٤ وما بعدها، وراجع: د/ فهد الرومى - منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: جـ٢ ، ص ٦٤٠.

المطلب الثالث
الشيطان

إذا كان الإيمان بالجن واجب فكذا يجب الإيمان بالشيطان، فالشيطان أو إبليس: صنف من أصناف الجن، وهو مثلهم مخلوق من النار إلا أنه من العصاة المتمردين الكافرين بنعمة الله تعالى، وهو من أشد مخلوقات الله تعالى عداوة للإنسان، ويقال: إن إبليس وهو الذى بدأ العداوة لسيدنا آدم وحواء عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، وأخرجهما من الجنة بوسوسته يعد أبا الشياطين، ويطلق لفظ الشيطان على كل متمرد من الإنس أو الجن أو الحيوان[١].

ولذا يقول رشيد رضا: «الشيطان في اللغة: كل عات متمرد حتى من الدواب، والشاطن: الخبيث، وقيل: إن الشيطان مشتق من شاط. يشيط. أى احترق غضبًا»[٢].

ومما يبرهن على ضرورة الإيمان بالشياطين قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البَقَرَة:٢٦٨].

وقوله عَلَيْهِالسَّلَامُ: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء**»[٣].

وفى الحديث ما يبرهن على أن الشيطان يدخل بيت الإنسان ويتناول من طعامه وشرابه ولا يخفى وسوسته.

---

(١) انظر: ابن تيمية: «مجموع الفتاوى»، جـ٤، ص ٣٤ وما بعدها.

(٢) محمد رشيد رضا: «مجلة المنار»، جـ٧، ص ٧٠٢.

(٣) مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، كتاب «الأشربة»، باب: (آداب الطعام والشراب وأحكامها)، م٥، جـ٣، ص ١٥٩٨، حديث ٢٠١٨.

رأي ابن تيمية:

ذهب ابن تيمية إلى وجوب الإيمان بالشياطين ولذا يقول: «وجود الجن ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة، وكذلك دخول الجنى في بدن الإنسان ثابت باتفاق أهل السنة، وهو أمر مشهور محسوس لمن تدبره، يدخل في المصروع، ويتكلم بكلام لا يعرفه ولا يدرى به، بل يضرب ضربا لو ضربه جمل لمات، ولا يحس به المصروع، وقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥].

ومن السنة: عن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ معتكفًا، فأتيته أزوره ليلًا فحدّثته، ثم قمتُ فانقلبت، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد رضي الله عنهما، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: **«على رسلكما، إنها صفية بنت حُيي»**، فقالا: سبحان الله يا رسول الله!، فقال: **«إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يَقذف في قلوبكما سوءًا»**[1]. - أو قال شيئًا -».

استدل العلماء بهذا الحديث على استطاعة الشيطان النفاذ في باطن الأرض وبها استدلوا على إمكان وقوع الصرع. ويرى ابن حجر أن هذا الحديث يرد به على من أنكر سلوكه في بدن الإنسان كالمعتزلة، وإذا كان الجن أجساما لطيفة لم يمتنع عقلا ولا نقلا سلوكهم في أبدان بنى آدم، فإن اللطيف يسلك في الكثيف كالهواء مثلا، فإنه يدخل في أبداننا، وكالنار تسلك في الحجر، وكالكهرباء تسلك في الأسلاك، بل وكالماء في التربة والرمال والثياب مع أنه ليس في الطاقة كالهواء والكهرباء[2].

(١) البخارى، كتاب «النكاح»، باب: (لا يطرق أهله ليلا إذا أطال الغيبة)، جـ٣، ص ٢٥٢ ،حديث ٤٩٤٥.

(٢) بدر الدين الشبلى: «آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان»، ص ١٣٠.

رأي الشيخ رشيد رضا: ذهب الشيخ محمد رشيد رضا إلى إنكار الصرع الشيطاني مخالفا ابن تيمية في هذه المسألة، إذ يرى أن الصرع ليس بفعل الشيطان حقيقة، وإنما هو أمراض عصبية[١].

وقبل بيان مدى مخالفته لابن تيمية في هذه المسألة لابد من إلقاء الضوء على مفهوم الصرع وأدلة وقوعه وذلك فيما يلي:

مفهوم الصرع: هو عبارة عن علة تمنع الأعضاء الرئيسة من انفعالها منعا غير تام، وسببه ريح غليظة تنحبس في منافذ الدماغ، أو بخار ردئ يرتفع إليه من بعض الأعضاء، وقد يتبعه تشنج في الأعضاء، فلا يبقى الشخص معه منتصبا بل يسقط.

وقد يكون الصرع من الجن، ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم إما لاستحسان بعض الصور الإنسية، وإما لإيقاع الأذى به، والأول هو الذى يثبته الأطباء ويذكرون علاجه، والثانى يجحده كثير منهم وبعضهم يثبته ولا يعرف له علاجا إلا بمقاومة الأرواح الخيرية العلوية لتندفع آثار الأرواح الشريرة السفلية وتبطل أفعالها[٢].

الأدلة على وقوعه: قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

---

(١) انظر: «تفسير المنار»، جـ٣، ص ٩٥ باختصار.

(٢) انظر: ابن حجر: «فتح البارى»، جـ١٠، ص١١٤.

قال الإمام القرطبى: «في هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصرع من جهة الجن، وزعم أنه فعل الطبائع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون فيه مس»(١).

ويضيف ابن كثير قائلًا: «﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ...﴾، الآية. أيي: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياما منكرا»(٢).

ومن السنة: الحديث سالف الذكر وهو قوله ﷺ: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم»(٣). ففي الحديث برهان قاطع على استطاعة الشيطان النفاذ في باطن الأرض، ومن ثم استدل العلماء به على إمكان وقوع الصرع.

موقف الأطباء من الصرع:

يقول العالم الأمريكى (كارنجتون) عضو جمعية البحوث النفسية الأمريكية في كتابه (الظواهر الروحية الحديثة) عن حالة المس: «واضح أن حالة المس هي على الأقل حالة واقعية لا يستطيع العلم أن يهمل أمرها ما دامت توجد حقائق كثيرة ومدهشة تؤيدها، وما دام الأمر كذلك، فإن دراستها أصبحت لازمة وواجبة لا من الوجهة الأكاديمية فقط، بل لأن مئات من الناس وألوفا يعانون كثيرا في الوقت الحاضر من هذه الحالة،

---

(١) القرطبى: «الجامع لأحكام القرآن»، جـ٣، ص ٣٥٥.

(٢) ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم»، جـ١، ص ٣٢٦.

(٣) سبق تخريجه، ص .

ولأن شفاءهم منها يستلزم الفحص السريع والعلاج الفورى، وإذا ما نحن قررنا مكانة المس من الوجهة النظرية انفتح أمامنا مجال فسيح للبحث والتقصى، ويتطلب كل ما يتطلبه العلم الحديث والتفكير السيكولوجى من العناية والخدمة»[١].

وممن أقر أيضًا بوقوع الصرع من الأرواح الخبيثة وأن الطب قد عجز عن علاجه الدكتور (بارو) أستاذ الأمراض العصبية في جامعة مينا بولس بأمريكا، والدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة[٢].

أبرز المآخذ على الشيخ رشيد رضا في هذه المسألة:

يؤخذ على رشيد رضا في هذه المسألة - كما سبق القول - عدة أمور خالف فيها شيخ الإسلام ابن تيمية من أبرزها إنكاره تلبس الشيطان بالإنسان، أو إنكاره للصرع الشيطانى؛ إذ يرى أن الصرع ليس بفعل الشيطان حقيقة، وإنما هو أمراض عصبية، ولذا يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾: «... تنفير من الربا وتبشيع لحال آكله، والمراد بالأكل الأخذ لأجل التصرف، وأكثر مكاسب الناس تنفق في الأكل، ومن تصرف في شيء من مال غيره يقال أكله وهضمه أى أنه تصرف فيه تمام التصرف حتى لا مطمع في رده، ثم إن التشبيه مبنى على أن المصروع الذى يعبر عنه بالممسوس يتخبطه الشيطان أى أنه يصرع بمس الشيطان له، وهو ما كان معروفا عند العرب وجاريا في كلامهم مجرى المثل»[٣].

---

(١) «عالم الجن والملائكة»: ص ٨٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) «تفسير المنار»: جـ٣، ص ٩٥ بتصرف يسير.

ثم قال: «فالآية على هذا لا تثبت أن الصرع المعروف كان يحصل بفعل الشيطان حقيقة ولا تنفى ذلك»[١].

ويضيف قائلًا: «وفى المسألة خلاف بين العلماء أنكر المعتزلة وبعض أهل السنة أن يكون للشيطان في الإنسان غير ما يعبر عنه بالوسوسة، وقال بعضهم أن سبب الصرع مس الشيطان كما هو ظاهر التشبيه وإن لم يكن نصا فيه، فقد ثبت عند أطباء هذا العصر أن الصرع من الأمراض العصبية التي تعالج كأمثالها بالعقاقير وغيرها من طرق العلاج الحديثة، وقد يعالج بعضها بالأوهام، وهذا ليس برهانا قطعيا على أن هذه المخلوقات الخفية التي يعبر عنها بالجن يستحيل أن يكون لها نوع اتصال بالناس المستعدين للصرع فتكون من أسبابه في بعض الأحوال»[٢].

الرد على السيد رشيد رضا:

إن قول الشيخ رشيد رضا بأن الآية الكريمة لم تثبت أن الشياطين يمرضون الأجساد كما زعم الدجالون، وأن الذى أثبته للشياطين هو الوسوسة فقول مردود؛ لما فيه من مخالفة صريحة لمذهب ابن تيمية في هذه المسألة[٣]، فقد ثبت أن الشياطين يتسلطون بالإيذاء على بعض الناس، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص: ٤١]؛ والنصب الشر والبلاء (بضم النون وتشديدها)، والنصب: التعب والإعياء (بفتح النون وتشديدها)[٤].

(١) «تفسير المنار»: جـ٣، ص ٩٥.

(٢) محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ٣، ص ٩٥.

(٣) انظر: ابن تيمية: «مختصر الفتاوى»، ص ٥٨٤.

(٤) انظر: القرطبى في «تفسيره»: جـ١٥، ص ٢٠٧.

وقد ورد أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يدعو فيقول: «اللَّهُمَّ إنى أعوذ بك من التردى والهدم والغرق والحريق، وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرا وأعوذ بك أن أموت لديغًا»[١].

تعقيب...

إن إنكار الشيخ رشيد رضا لتلبس الشيطان بالإنسان هو مذهب المعتزلة؛ إذ المعتزلة يرون أن مس الشيطان إنما هو بالوسوسة كما قال ﷻ في قصة أيوب: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص: ٤١].

كما يقال فيمن تفكر في شيء يغمه قد مسه التعب، ويبين ذلك قوله ﷻ في صفة الشيطان: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

ولو كان يقدر أن يخبط. لصرف همته إلى العلماء والزهاد وأهل العقول لا إلى من يعتريه الضعف، وإذا وسوس ضعف قلب من يخصه بالوسوسة فتغلب عليه المرة فيتخبط، كما يتفق ذلك في كثير من الإنس إذا فعلوا ذلك بغيرهم[٢].

---

(١) النسائى في «سننه»، كتاب «الاستعاذة» باب: (الاستعاذة من الجنون)، جـ٨، ص ٢٧٠ وصححه الألبانى في «صحيح سنن النسائى»، جـ٣، ص ٤٧١.

(٢) القاضى عبد الجبار: «تنزيه عن المطاعن»، ص ٥٤، دار النهضة الحديثة - بيروت - لبنان - بدون.

هكذا يحتال المعتزلة ومن سلك مسلكهم كالشيخ رشيد رضا يخالفون منهج ابن تيمية، ويحاولون تحريف الكلم عن مواضعه غرورا بمسلمات عقولهم التي أسسوها على قناعات فلسفية بشرية غير مقتفية لشئ من علوم الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فهم يغمضون عيونهم عن رؤية الصواب الذى تنادى عليهم وعلى أمثالهم به نصوص الكتاب والسنة.

وها هم يجمدون أفكارهم في دائرة قناعتهم العقلية ضاربين عرض الحائط بكل نصيحة يحاول أصحابها ردهم إلي سبيل أهل الحق، فكل ما أمكنهم قبوله في مسألتنا هذه من مظاهر تخبط الشيطان ببعض البشر رجالا ونساء على مختلف دياناتهم وأعمارهم وأزمانهم وأماكنهم فيصرعونهم في صور مختلفة وكثيرة مع التأثيرات العجيبة والغريبة والمتعددة في العقل وسائر أعضاء البدن إضرارهم بالأمراض الحسية والنفسية والاجتماعية، ولا غرابة إن قلنا والاقتصادية، ويشهد لذلك وصف المولى عَزَّوَجَلَّ لعداوة إبليس وأعوانه وتربصه لبنى آدم كل شر، وذلك في أكثر من موضع، ومنه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

وفى تغيظ الشيطان وأتباعه وتوعده ذرية آدم قال سبحانه: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٢-٦٥].

ومع كل هذا يقصر الشيخ محمد رشيد رضا متأثرا بالمعتزلة كل محاولات إبليس وأعوانه على الوسوسة، ولا مهرب له من النصوص إلا بمثل هذه الاستدلالات الساقطة عن الاعتبار[١].

والحق أنه كان من الأولى عدم الخوض في تفصيل أحوالهم وتفويض علم ذلك إلى الباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهو المنهج الأسلم والأحكم، والله أعلم.

(١) انظر: د/ ورداني عبد الراضي: «اتجاه المعتزلة ومنهجهم في التفسير»، ص ١٤٠، وما بعدها ط. ١٩٩٥م.



المبحث الرابع

الجدل بين ابن تيمية والشيخ رشيد رضا فيما يتعلق بعلامات الساعة

ويشتمل على تمهيد ومطلبين:

* تمهيد.
* المطلب الأول- المهدي المنتظر.
* المطلب الثاني- الدجال.



تمهيد

لاريب أن الإحاطة بأمر الساعة وميقاتها هو مما اختص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علمه لنفسه، ولم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل، وذلك واضح في كتاب الله وفى سنة نبيه محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ١٥].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا أظهر عليها أحدًا غيرى»[(١)].

وقد جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «من زعم أنه ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٦٥ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾.

[النمل: ٦٥-٦٦]

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن قيام الساعة يسبقه ظهور لعلاماتها وأشراطها موعدا لذلك في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٨]. قال ابن عباس: أى أشراط الساعة[(٢)].

وروى مسلم في (صحيحه) عن ابن عمر في حديث جبريل الذى سأل فيه الرسول ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، أن جبريل سأل المصطفى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الساعة، قائلًا: أخبرني عن الساعة، قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرنى عن

---

(١) الطبرى في «تفسيره»: جـ٩، ص١٨٧ / ١٨١٣٤.

(٢) انظر: الطبرى في «تفسيره»: جـ١٣، ص ٦٦.

أمارتها، فقال ﷺ: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»[١] فقد أخبر عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن أمارات الساعة ولم يخبر عن العلم بها.

وقد ورد عنه ﷺ أحاديث كثيرة أيضًا في الإخبار عن علامات الساعة كمجيئه عليه الصلاة والسلام، ومنها ما وقع بعد ذلك ككثرة المال والتطاول في البنيان، ومنها ما سيقع كالدجال والمهدى وطلوع الشمس من مغربها، فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكثر فيهم المال، فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها»[٢].

---

(١) مسلم في «صحيحه»: كتاب «الإيمان»، باب: (بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام)، جـ١، ص ٣٦، حديث رقم ٨.

(٢) البخارى في «صحيحه»: كتاب «الفتن»، باب: (خروج النار)، جـ٦، ص ٢٦٠٥، حديث رقم ٦٧٠٤.

فهذا الحديث يعد من أشمل الأحاديث التي وردت في علامات الساعة إلى درجة أنه «لم يبق بعد هذا ما ينظر فيه من العلامات والأشراط في عموم إنذار النبى ﷺ بفساد الزمان، وتغيير الدين، وذهاب الأمانة ما يغنى عن ذكر التفاصيل الباطلة والأحاديث الكاذبة في أشراط الساعة»[١].

ولنقتصر على بعض من تلك العلامات وذلك فيما يلي.

(١) القرطبى: «التذكرة»، جـ٢، ص ٧٣٤.



المطلب الأول
المهدي المنتظر

معنى المهدي:

المهدي لغة: اسم مفعول من هداه هدى وهديا وهداية، والهدى: هو الرشاد والدلالة، يقال: هداه الله للدين هدى، وهديته الطريق، وإلى الطريق هداية: أي عرفته[١].

وقال ابن الأثير: المهدي الذي هداه الله إلى الحق، وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة[٢]. وقد وردت هذه الكلمة في أحاديث عديدة، منها حديث العرباض بن سارية، وفيه: «وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»[٣].

وقال ابن الأثير: «يريد بالخلفاء المهديين أبا بكر وعمر وعثمان وعليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين ،وإن كان عاما في كل من سار سيرتهم»[٤].

والمراد بالمهدي هنا: هو الذي بشر به رسول الله ﷺ أنه يجيء في آخر الزمان، ويؤيد الدين ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية، ويكون من أهل بيته ﷺ، ويخرج في زمنه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والدجال.

وأما نسبه: فالروايات الكثيرة تبين لنا أنه من ولد فاطمة البتول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ابنة النبي المصطفى عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وعن أولادها الطاهرين.

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث»: جـ ٥، ص ٢٥٤، و«لسان العرب»: جـ ١٥، ص ٣٥٣ وما بعدها.

(٢) «النهاية في غريب الحديث»: جـ ٥، ص ٢٥٤.

(٣) جزء من حديث أخرجه الإمام الترمذي في «سننه»، كتاب «العلم» باب: (الأخذ بالسنة واجتناب البدع)، جـ ٥، ص ٤٤ حديث رقم ٢٦٧٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة في «سننه»، كتاب «الإيمان وفضائل الصحابة»، باب: (اتباع سنن الخلفاء الراشدين)، جـ١، ص ١٥، رقم ٤٢.

(٤) «النهاية في غريب الحديث»: جـ٥، ص ٢٥٤.

عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»[١]. فهذه الأخبار كلها تؤكد أن المهدي من ذرية رسول الله ﷺ، من ولد فاطمة الزهراء، وهذا ما عليه جماهير الأمة، فلا يسوغ العدول عنه، ولا الالتفات إلى غيره من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

ولقد كثرت الآثار المروية في المهدى المتضمنة أنه يجئ في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا، وربما خلا بعضها عن ذكر وصف المهدى، ولكنه يذكر من صفاته ما يوافق الصفة التي ذكرت في الأحاديث المذكور فيها وصف المهدى، ومن تلك الأحاديث: قوله رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم، ثم اتفقوا حتى يبعث الله فيه رجلا من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى»[٢].

- وعن النبى ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلما وعدوانا، ثم يخرج رجل من أهل بيتى يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا»[٣].

ومن مجمل الروايات السابقة يتبين لنا أن المهدي رجل صالح يخرج في آخر الزمان، ويأوي إلى مكة هاربا من المدينة، فيبايع بين الركن والمقام عند الكعبة المشرفة، فيبعث إليه جيش لقتله فيخسف بهم، وينصره الله ويؤيده فيحكم بالإسلام، وينشر العدل بين الناس، ويعم الرخاء والنعمة بزمانه، ويلتقي مع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيؤم الأمة وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يصلي خلفه.

---

(١) أبو داوود في «سننه» - «كتاب المهدى»، جـ٤، ص ١٧٤، حديث رقم ٤٢٨٦.

(٢) الترمذى فى« سننه»: جـ٤، ص ٥٠٥ حديث رقم ٢٢٣١، وأبو داوود في «سننه»، جـ٢، ص ٥٠٨ حديث ٤٢٨٢.

(٣) رواه أحمد في «مسنده»، جـ١٠، ص١١٦، وانظر: ابن حجر الهيتمى: «الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة»، ص ٣٥٤ - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: ثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

رأي ابن تيمية:

ذهب ابن تيمية إلى إثبات خروج المهدى على ما تقضي به النصوص الصحيحة في اسمه ونسبه ووقت خروجه لا يتجاوز ما جاء في الأحاديث من ذلك، إذ الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدى أحاديث صحيحة.

يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم»[(١)].

كما يرى تلميذه ابن القيم أن أحاديث وجود المهدى وخروجه في آخر الزمان، وأنه من عترة المصطفى ﷺ بلغت حد التواتر فلا معنى لإنكارها [(٢)].

ويضيف السفاريني قائلًا: «الصواب الذى عليه أهل الحق أن المهدى غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم»[(٣)].

إلا أن الشيخ محمد رشيد رضا خالف ابن تيمية في هذه المسألة، فقد ذهب إلى القول بتعارض أحاديث المهدى، مدعيا أن الشيخين لم يعتدا بشئ من رواياتها في صحيحيهما، وفيما يلى بيان ذلك بإيجاز:

أولًا - دعوى التعارض في أحاديث المهدى:

زعم رشيد رضا أن أحاديث المهدى متعارضة، ومن مظاهر هذا التعارض:

---

(١) ابن تيمية: «منهاج السنة النبوية»، جـ٤، ص ٩٥، وانظر: البيهقى «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد» ص ٢٤١، وانظر: د/ صالح الفوزان «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد»، جـ ١، ص ٢٠٠.

(٢) انظر: ابن القيم: «المنار المنيف في الصحيح والضعيف»، ص ٩٢، تحقيق طه عبد الرؤف – نشر دار المسلم.

(٣) السفاريني: «أهوال يوم القيامة وعلاماتها الكبرى»، ص ٣٠ دار المنار.

الاختلاف في اسمه المهدى واسم أبيه فهو عند أهل السنة محمد بن عبد الله، وفى رواية أحمد بن عبد الله، وعند الشيعة الإمامية محمد بن الحسن العسكرى[١]، وعند الكيسانية[٢] هو: محمد بن الحنفية.

ومن مظاهر الاختلاف أيضًا عنده الاختلاف في نسبه، فتشير بعض الروايات إلى أنه علوى فاطمى حسنى، وفى بعضها أنه من ولد الحسين، كما أنه في بعض الأحاديث من ولد العباس، قال: «وأهل الرواية يتكلفون الجمع بين هذه الروايات وما يعارضها باحتمال أن يكون لكل من العباس والحسن والحسين فيه ولادة بعضها من جهة الأب وبعضها من جهة الأم»[٣].

ويضيف قائلًا: «إن أحاديث المهدى لا يصح منها شيء يحتج به، وأنها مع ذلك متعارضة متدافعة، وأن مصدرها نزعة سياسية شيعية معروفة، وللشيعة فيها خرافات مخالفة لأصول الدين»[٤].

ويقول في موضع آخر: «وإذا تذكرت مع هذا أن أحاديث الفتن والساعة عامة وأحاديث المهدى خاصة، وأنها كانت مهب رياح الأهواء والبدع وميدان فرسان الأحزاب والشيع تبين لك أين تضع هذه الرواية منها»[٥].

ثم يعقب بعد هذا قائلًا: «فهذا نموذج من تعارض الروايات وتهافتها في المهدى»[٦].

---

(١) قيل: إنه ولد عام ٢٥٦هـ، وتوفى ٢٧٥م، على أن وجوده مشكوك فيه. انظر: الزركلى: «الأعلام»، جـ٦، ص ٨٠.

(٢) هم أتباع المختار بن أبى عبيد الثقفى وينسبون إلى كيسان مولى على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر: الشهرستانى: «الملل والنحل»، جـ١، ص ١٤٥، وانظر: البغدادى: «الفرق بين الفرق»، ص ٣٨.

(٣) محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ٩، ص٥٠٢.

(٤) المرجع السابق: جـ ١٠، ص٣٩٣.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

الرد على دعوى السيد رشيد رضا

يرد على دعوى صاحب المنار بالوجوه التالية:

١- لا شك أن أحاديث المهدى تدل على حقيقة ثابتة بلا شك، ولا صلة البتة لهذه الحقيقة الثابتة عند أهل السنة بالعقيدة الشيعية على اختلاف فرقها من مهديين لا حقيقة له ولا أصل، بل هو شيء موهوم لا يقوم على ساق من الأدلة، ومن ثم، فإن الخلاف بين الشيعة والسنة في ذلك ليس خلافا معتبرا فيه حقيقة الخلاف العلمى، بل خلاف بين الدليل والوهم[1].

٢- إن التعارض والاختلاف في شيء لا يوجب بطلانه، ففى قوله سبحانه: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [الكهف:٢٢][2]. ذكر المولى تعارض واختلاف أهل الكتاب في عدد أصحاب الكهف، ولم ينف صحة القصة نظرا للاختلاف والتعارض، بل نفى العلم عن أكثرهم، وأثبته للقليل منهم، وهذا من أدب القرآن في حكاية الخلاف والإنصاف في الحكم. ومن ثم يمكن القول بأن التعارض والاختلاف في شيء لا يوجب بطلانه؛ ولذا قام العلماء بالجمع بين الروايات التي ظاهرها التعارض.

---

(١) انظر:الشيخ عبد المحسن العباد: «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدى المنتظر»، ص٢٢١، ط. ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

(٢) انظر: ابن حجر الهيتمى: «الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة»، ص ٣٥٤.

ثانيًا - دعوى عدم ورود أحاديث المهدى في الصحيحين:

رتب صاحب المنار على زعمه بأن أحاديث المهدى متعارضة زعما آخر مفاده عدم اعتداد البخارى ومسلم بأحاديث المهدى في (صحيحيها)، ولذا يقول: «لم يعتد الشيخان بشئ من رواياتها في صحيحيها»[١].

الرد على السيد رشيد رضا:

إن دعوى رشيد رضا عدم ورود أحاديث المهدى في الصحيحين دعوى متهافتة ومردودة للأسباب التالية:

١- ورد في (الصحيحين) ما يشير إلى المهدى بدون ذكر لفظة المهدى، ومن ذلك:

- ما ورد في (صحيح البخارى) أنه ﷺ قال: «**كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم**»[٢].

- ما ورد في (صحيح مسلم) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**» وقال: «**فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة**»[٣]. فلا محمل لهذه الأحاديث إلا على المهدى.

٢- كما وردت روايات صحيحة خارج (الصحيحين) تصرح بزيادة على ما فيهما ومن ذلك:

---

(١) محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ٩، ص٤١٦.

(٢) البخارى: «صحيح البخارى»، كتاب «أحاديث الأنبياء»، باب: (نزول عيسى)، جـ٣، ص ٥٣ حديث رقم ٣٤٤٩.

(٣) مسلم «صحيح مسلم»: كتاب «الإيمان»، باب: (نزول عيسى ابن مريم)، جـ١، ص ١٣٧، حديث رقم ٢٤٧.

- ما روى عن صفية أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا ينتهى الناس عن غزو هذا البيت حتى يغزوه جيش، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم، ولم ينج أوسطهم، قالت: قلت يا رسول الله، أرأيت المكره منهم؟، قال: يبعثهم الله على ما في أنفسهم»[١].

- ما روى عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال: «يبايع لرجل بين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا يسأل عن هلكة العرب، ثم يأتى الحبشة فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا، وهم الذين يستخرجون كنزه»[٢].

وتجدر الإشارة إلى أن زيادة الثقة مقبولة عند علماء الحديث، فقد قال الحافظ: «وزيادة راويهما - أي: الصحيح والحسن - مقبولة مالم تقع منافية لرواية من هو أوثق ممن لم يذكر تلك الزيادة؛ لأن الزيادة إما أن تكون لا تنافى بينها وبين رواية من لم يذكرها فهذه تقبل مطلقا؛ لأنها في حكم الحديث المستقل الذى ينفرد به الثقة ولا يرويه عن شيخه غيره، وإما أن تكون منافية بحيث يلزم من قبوله رد الرواية الأخرى، فهذه هي التي يقع الترجيح بينها وبين معارضها فيقبل الراجح ويرد المرجوح»[٣].

كما أنه لا ينبغى عزل النصوص عن شرح العلماء الراسخين في العلم وفهمهم لها.

٣- إن التعليل لأحاديث المهدى بعدم ورودها في الصحيحين لا يقبل؛ لأن الصحيحين لم يستوعبا كل الأحاديث الصحيحة، وكم من أحاديث صحيحة لم يذكرها

---

(١) رواه أحمد في «مسنده»: جـ٦، ص ٣٣٧، والترمذى في «الفتن»: حديث ٢١٨٤، وقال حسن صحيح.

(٢) رواه أحمد في «مسنده»، ٢ ، ص ٢٣٨، وقال الألبانى في «السلسلة الصحيحة»: «وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير سعيد بن سمعن وهو ثقة». انظر: الألبانى «السلسلة الصحيحة»: جـ٢، ص ١١٩.

(٣) الحافظ في «شرح النخبة»: ص ٣٧.

صاحبا الصحيحين وذكرها غيرهما، ولم يدع أحد من العلماء جمع الأحاديث الصحيحة في كتاب واحد، فهي أعظم من ذلك، وهذا لا يخفى على أحد، ولذا يقول الإمام البخارى: «لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحا، وما تركت من الحديث أكثر»[١].

ولنا أن نتساءل..؟ كيف يذكر صاحب المنار أن البخارى ومسلم لم يعتدا بشئ من روايتها في صحيحيهما، وهو الذى رد كثيرا من الأحاديث الواردة فيهما، والتى اتفقا عليها، فقد رد أحاديث انشقاق القمر، وهى عند الشيخين وغيرهما.

٤ - لم يقل أحد من أهل العلم إن عدم إيراد الحديث في الصحيحين يدل على ضعفه عندهما، فقاعدة «لا يصح الاحتجاج بحديث في غير (الصحيحين) إلا إذا كان له أصل فيهما، أو في أحدهما» قاعدة محدثة مبتدعة لم يقل بها ابن تيمية ولا أحد من السلف، بل صرح الأئمة بما فيهم البخارى ومسلم بما ينقض دعوى الاقتصار على الصحيحين من أساسها.

إن السيد رشيد رضا ما كان له أن يقحم نفسه في هذا الميدان ويضع نفسه بين أعلام الحديث، اللَّهُمَّ إلا أن تكون كلمات قرائه ومحبيه وأوصافهم المبالغ فيها قد أثرت فيه، وظن بذلك أنه يطاول السماء ويفاخر الشهب، وهو الذى أقر على نفسه بقصر باعه في هذا الميدان، كما أقر على شيخه[٢].

ثالثا - عقيدة المهدى سبب للفتن والفساد في الشعوب الإسلامية عند رشيد رضا:

ذهب السيد رشيد رضا إلى أن أعداء الإسلام حاولوا طمس هذه العقيدة لأنها عنده سبب التأخر والفوضى التي عمت بلاد الإسلام، كما كانت «أكبر مثارات الفساد والفتن في الشعوب الإسلامية، إذ تصدى كثير من محبى الملك والسلطان ومن أدعياء

(١) ابن حجر «هدى السارى»: ص ٩، وانظر: ابن الصلاح «المقدمة»: ص ٣٠ وما بعدها.

(٢) مقدمة «مفتاح كنوز السنة»: المقدمة.

الولاية وأولياء الشيطان لدعوى المهدوية في الشرق والغرب، وتأييد دعواهم بالقتال والحرب وبالبدع والإفساد في الأرض، حتى خرج ألوف الألوف عن هداية السنة النبوية، ومرق بعضهم من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»[١].

كما يوضح أثر هذه العقيدة على المسلمين فيقول: «تركوا ما يجب لحمية البيضة وحفظ سلطان الملة بجمع كلمة الأمة وبإعداد ما استطاعوا من حول وقوة، فاتكلوا وتواكلوا وتنازعوا وتخاذلوا، ولم يعظهم ما نزع من ملكهم وما سلب من مجدهم اتكالا على قرب المهدى، فهو الذى سيرد إليهم ملكهم، ويجدد لهم مجدهم، ويعيد لهم عدل شرعهم، وينتقم لهم من أعدائهم، ولكنه يفعل ذلك بالكرامات، وما يؤيد به من خوارق العادات لا بالبندقيات الصارخات، ولا بالمدافع الصاخات، ولا بالدبابات المدمرات»[٢].

ويرد على السيد رشيد رضا بما يلى:

١ – إن اعتقاد رشيد رضا بأن استغلال أعداء الإسلام لهذه العقيدة كاف في طمسها أو التشكيك فيها مرفوض، فمتى كان استغلال أعداء الإسلام لأى عقيدة من عقائده مبررا للتشكيك في ثبوتها؟!

٢ – إن أعداء الإسلام لم يستغلوا المهدوية فحسب، ولكنهم استغلوا ما هو أكبر وأعظم عند المسلمين أعنى عقيدة النبوة، استغلوا هذا وخرج أدعياء النبوة، ولازلنا في هذا العصر نعانى من أمثال هؤلاء كالبهائية والبابية والقاديانية وغيرهم مع أن المسلمين كلهم يؤمنون بختم النبوة، ولم يكن هذا مانعا لهم من استغلالها، ولن يكون هذا ولا ذاك مانعا لنا نحن المسلمين من الإيمان بعقيدة النبوة والإيمان بمجيء المهدى، ولو

---

(١) محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ٩، ص٤١٦.

(٢) المرجع السابق باختصار وتصرف يسير.

شككنا في كل عقيدة للمسلمين يستغلها أعداء الإسلام لخشينا أن لا يبقى لنا من الإسلام حتى اسمه.

٣- ليس للمسلمين في أى زمن أن يتركوا ما أوجبه الله تعالى عليهم من نصرة الدين اتكالا على ما جاء في أحاديث المهدى، ولو وقع ذلك منهم لكان خطأ يجب تصحيحه لهم، وإرشادهم إلى ما يجب عليهم من التصديق بأحاديث النبى ﷺ والأخذ بها كلها، فتلك التي ترشد مع آيات القرآن الكريم إلى وجوب نصرة الله ورسوله والأخذ بأسباب القوة والنصر يجب الإيمان بها، كما يجب الإيمان بأن ظهور المهدى ما هو إلا حلقة في أواخر سلسلة طويلة ينصر الله به في زمن دينه، ذلك الزمن الذى يستشرى فيه الشر والطغيان، وينزل فيه الدجال[١].

٤- إن تحميل رشيد رضا كل ما جرى للمسلمين من تخلف حضارى وإنشاء دولة ذات قوة وعزة ومنعة وسلطان وهيبة على الاعتقاد بظهور المهدى مرفوض؛ إذ لا يصح لمسلم أن يتأخر عن النهضة والتقدم بدعوى الاتكال على مجئ المهدى المنتظر، فالمسلمون الأوائل لما أخذوا بأسباب القوة والنصر مكن الله لهم في الأرض مع اعتقادهم بهذه العقيدة، وإنما ساء حالهم أخيرا بسبب سوء اعتقادهم وفشو البدع فيهم، ومنها رد الأحاديث الصحيحة، وحملها على غير وجهها، والتكذيب بما ورد في الشرع بتأويله أو تضعيفه[٢].

---

(١) انظر: عبد المحسن العباد: «الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدى»، ص ١٣٣، دار الفضيلة بالرياض، ط: ثانية ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٢) انظر: الإمام السيوطى :«الحاوى للفتاوى»، جـ٢، ص٨٥ ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٩٨٨م، والمقدسى: «عقد الدرر في أخبار المنتظر»- تحقيق د/ عبد الفتاح محمد الحلو، ص٨ وما بعدها،

وفيها يبدو أن صاحب المنار قد تأثر بابن خلدون[١] في رده لأحاديث المهدى[٢]، وهذا لم يوافقه عليه أحد من علماء السلف، وهو بهذا يكون قد فتح بهذا الباب لمن أتى بعده كمحمد فريد وجدى وأحمد أمين وغيرهم ممن تواكؤوا على كلامه، وأوهموا الناس أن لهم سلفا من العلماء في رد أحاديث المهدى، وأنهم لم يأتوا ببدع من القول، وقابلوا كل أحاديث المهدى بالطرح والرد دون تفريق بين الثابت منها وغير الثابت.

نشر مكتبة عالم الفكر، ط.أولى ١٩٧٩م.

(١) ابن خلدون: (ت ٨٠٨هـ) في «مقدمته» ص٤٣١، وانظر: فخر الدين الرازى: «المحصول في أصول الفقه»، م١،ص ٤ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط. أولى - ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

(٢) انظر: المرجع السابق.



المطلب الثاني
الدجال

من علامات الساعة الدالة على اقتراب وقوعها المسيح الدجال، والدجال لقب له لقب به لشدة تدجيله وكذبه ولقدرته الخارقة على تغطية الحق بالباطل، وهو رجل يهودى في الأصل من جهة المشرق، فيدعى بين الناس الصلاح والاستقامة، ثم يدعى أنه المسيح المنتظر، ثم يدعى الألوهية ويتبعه فيما يدعو الناس إليه خلق كثير معظمهم من اليهود[١]، ولقد فاضت بالأحاديث المتعلقة به جميع كتب السنة تحذيرا وإخبارا ووصفا، ومن هذه الأحاديث:

(أ) عن حذيفة أن عقبة قال له: حدثنى ما سمعت من رسول الله ﷺ في الدجال فقال: **«أن الدجال يخرج، وإن معه ماء ونار، فأما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذى يراه الناس نارا فماء بارد وعذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذى يراه نارا، فإنه عذب طيب»** فقال عقبة: وأنا قد سمعته تصديقا لحذيفة[٢].

(ب) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: **«إنى لأنذركموه، وما من نبى إلا وقد أنذر قومه، ولكنى سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه، إنه أعور، وإن الله ليس بأعور»**[٣].

---

(١) انظر: ابن منظور: «لسان العرب»، جـ٤، ص ٢٩٤، والفيومى: «المصباح المنير»، ص ٢٥٨.

(٢) رواه البخارى كتاب: «الفتن»، باب: (ذكر الدجال)، جـ٦، ص ٢٦٠٨ حديث رقم ٦٧١٠، ومسلم: كتاب «الفتن وأشراط الساعة»، باب: (ذكر الدجال وصفته وما معه)، جـ٤،ص ٢٢٤٩، حديث ٢٩٣٤.

(٣) رواه البخارى: كتاب «الفتن»، باب: (ذكر الدجال)، جـ٦، ص ٢٦٠٨، حديث رقم ٦٧٠٨، ومسلم: كتاب «الفتن وأشراط الساعة»، باب: (ذكر ابن صياد)، جـ٤،ص ٢٢٤٤، حديث ١٦٩.

معتقد ابن تيمية :

ذهب ابن تيمية إلى أن الدجال يهودي الأصل، ويكون ظهوره من جهة المشرق وعينه اليمنى عوراء جاحظة وطافية بشكل منكر، ولا يولد له ولد، ولا يمكن من دخول مكة والمدينة، مكتوب على جبهته كافر، يتبينها كل مسلم، ويقتله عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والله سبحانه إنما يجرى خوارق العادات على يده مثل إحياء الموتى وغير ذلك على سبيل الفتنة للعباد، إذ كان عندهم ما يدل على أنه مبطل غير محق في دعواه، فهو يزعم الألوهية، ومع ذلك فلا يستطيع أن يزيل عاهته في عينه، وإذا كانت دعواه معلوم كذبها ضرورة لم يكن ما يأتي به من الشبهات مصدقا لها، إذ العصمة الضرورية لا تقدح فيها الطرق النظرية،، فإن الضروريات أصل النظريات، فلو قدح فيها لزم إبطال الأصل بالفرع فيبطلان جميعا، فإنه يظهر أيضًا من عجزه ما ينفى دعواه[١].

موقف الشيخ رشيد رضا :

ذهب صاحب المنار إلى إنكار تواتر أحاديث الدجال، ومن هذا المنطلق أخذ يشكك فيها ويرى أنها مشكلة من وجوه:

أحدها - منافاتها لحكمة إنذار القرآن بقرب قيام الساعة وإثباتها بغتة.

ثانيها - ما ذكر فيها من الخوارق التي تضاهى أكبر الآيات التي أيد الله بها أولى العزم من المرسلين، أو تفوتها وتعد شبهة عليها، كما قال بعض علماء الكلام، وعد بعض المحدثين ذلك من بدعتهم، ومن المعلوم أن الله ما آتاهم هذه الآيات إلا لهداية خلقه التي هي من مقتضى سبق رحمته لغضبه، فكيف يؤتى الدجال أكبر الخوارق لفتنة السواد الأعظم من عباده؟»[٢].

---

(١) انظر: ابن تيمية: «النبوات»، ص ١٥٦، وانظر له أيضا «مجموع الفتاوى»: م٢، ص ٤٦٧ وما بعدها، وانظر: د/ محمد أحمد الخطيب: «دراسات في العقيدة الإسلامية»، ص ٢٤٢، دار عمارة ط. سادسة ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

(٢) محمد رشيد رضا: «تفسير المنار»، جـ٩، ص ٤٥٠.

يضاف إلى ما سبق أنه نقل عن شيخه محمد عبده: «وسئل عن المسيح الدجال وقتل عيسى فقال: إن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها»(١). وقد سلم رشيد رضا هذا القول لشيخه، ولم يعترض عليه، فهو يحاكى شيخه في عقيدته في الدجال على أنه رمز وليس حقيقة.

الرد على ادعاءات رشيد رضا:

إن معتقد السيد رشيد رضا في الدجال مخالف لمذهب ابن تيمية، ويرد عليه بوجوه منها:

أولًا - إن الحكمة المشار إليها في الإشكال الأول ليست بنص الشرع، بل هي مما استنبطه أهل العلم واجتهدوا فيه، وهى لا تنافى حكما أخرى لم يصلوا إليها، قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩]، فلا يصلح أن تعارض هذه الحكمة المستنبطة بالاجتهاد نصوص الكتاب والسنة(٢).

ثانيًا - لاشك أن المعجزة ليست وحدها السبيل لتصديق الرسل، بل يكون معها من القرائن ما يبين صدقهم، وبذا يظهر الفرق بين ما يكون مع الأنبياء من الخوارق، وما يكون مع الأشقياء منها، ولا ريب أن الدجال من صنف هؤلاء الأشقياء، فلا يلتبس أمره على المؤمنين، لا سيما وقد بين المصطفى ﷺ علامته، وأنه مكتوب بين عينيه «كافر»، وأنه يدعى الألوهية مع أنه أعور، والله تعالى متصف بصفات الكمال والجمال والجلال فليس بأعور(٣)، ولذا يقول الإمام النووى:

---

(١) المرجع السابق: جـ٣، ص ٢٦٢.

(٢) انظر «مجموع الفتاوى»: م٢ ص ٤٦٧ وما بعدها، وانظر: القرطبى: «التذكرة» ص ٧٣٢، وانظر: ابن حجر: «فتح البارى»: جـ١١، ص ٣٥٠.

(٣) البخارى: كتاب «الفتن»، باب: (ذكر الدجال)، جـ٦، ص ٢٦٠٨، حديث رقم ٦٧١٠، ومسلم: كتاب «الفتن وأشراط الساعة»، باب: (ذكر الدجال وصفته وما معه)، جـ٤، ص ٢٢٤٩، حديث ٢٩٣٤.

«وزعموا أنه لو كان حقا لن يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهذا غلط. من جميعهم لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وإنما يدعى الإلهية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله، ووجود دلائل الحدوث فيه، ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذى في عينيه، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه»[١].

كما يرى أن الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذى يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره، ويقتله عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويثبت الله الذين آمنوا، هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة، وخلافا للبخارى المعتزلى - ليس هو البخارى صاحب الصحيح فهذا سُنِّي والمخالف هو البخارى المعتزلى - وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود، وأنه الذى يدعى مخاوف وخيالات لا حقائق لها[٢].

ثالثًا - لم يدع الدجال النبوة، فيلتبس أمره، وإنما ادعى الألوهية، وهو مناف لبشريته وصفاته التي وصفه بها النبى ﷺ، فلا يلتبس أمره[٣].

---

(١) «النووى بشرحه على صحيح مسلم»: جـ١٨، ص ٥٨.

(٢) «النووى بشرحه على صحيح مسلم»: جـ١٨، ص ٥٨، وانظر: ابن حجر «فتح البارى»: جـ٢٧، ص ١١٠ وما بعدها، وابن العربى - عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى جـ٩، ص ٨١ ط: دار الكتب العلمية بيروت لبنان. وراجع د/ فهد الرومى - منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، جـ٢ ص ٥١٥.

(٣) المرجع السابق.

وبعد هذا كله يتبين أن أحاديث الدجال ليست مشكلة وليست متعارضة لتتساقط، وإنما هو احتجاج أهل الأهواء الذين قصر علمهم عن الاتساع، وعييت أذهانهم عن وجوهها فلم يجدوا شيئا أهون من أن يقولوا: متناقضة فأبطلوها كلها.

والدليل على ذلك: أن كل الذى استشكله رشيد غير مشكل، وكل ما زعم تعارضه غير متعارض؛ لأن النبى محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان أوحى إليه بصفات الدجال العامة، ولم يوحى إليه شيء في شخصه وعينه، وكذلك زمنه ومكانه، كما تبين له عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الدجال ليس هو ابن صياد، وأنه يخرج زمن كذا وكذا، ومكانه كذا وكذا، فتبين له بعد التردد ما لم يكن يعلم، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء: ١١٣][(١)].

رابعًا - إن ما استشكله صاحب المنار فيما يتعلق بالفتن التي تكون مع الدجال غير مشكل، وما زعم أنه تعارض يوجب التساقط فهو غير متعارض، فموقفه موقف متسرع ومتكلف وغير مبرر[(٢)].

ومن ثم يتبين مدى مخالفة السيد رشيد رضا لمذهب ابن تيمية في هذه المسألة.

---

(١) انظر: ابن كثير: «البداية والنهاية»، جـ١، ص ٦٥، وانظر: ابن تيمية: «الفرقان»، ص ٦٩، ط: مكتبة المعارف بالرياض.

(٢) انظر: ابن كثير: «البداية والنهاية»، جـ١، ص ٦٦.



الخاتمة نسأل الله حسنها

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ختم الله به الرسالات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد...

فقد توصلت من دراستى لموضوع البحث: (**أبرز قضايا الخلاف الكلامية بين شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد رشيد رضا**) إلى النتائج التالية:

أولًا - عاش شيخ الإسلام ابن تيمية وصاحب المنار في عصر مليء بالفتن والاضطرابات السياسية والاجتماعية، ولقد كان لهذا الوضع المؤلم الذى آل إليه حال أمة الإسلام أثره العميق في تفكيرهما، فجعلهما يكرسان معظم حياتهما لهذه الأوضاع مصلحين ومجاهدين تارة بالقلم واللسان، وتارة أخرى بالسيف والسنان.

ثانيًا - تعتبر النبوة لدى مدرسة هذا البحث فضلا من الله على كل الشعوب في كل زمان ومكان؛ وذلك لأن الله تعالى عندما خلق الإنسان وكرمه واستخلفه في الأرض لم يخلقه عبثا، ولن يتركه سدى، وإنما من لطف الله بعباده أن أرسل إليهم الأنبياء والرسل ليبلغوا عنه ويرشدوهم إلى الطريق القويم، وهؤلاء الأنبياء والرسل جميعا من البشر اصطفاهم الله عَزَّوَجَلَّ، وأرسلهم لهداية الناس إلى المنهج الحق الذى تقوم به حياتهم، ولتقوم الحجة على العباد وتنقطع الأعذار.

ثالثًا - يعد الشيخ محمد رشيد رضا ذا منهج أقرب ما يكون إلى فرقة المعتزلة، فقد قام بتأويل حقائق العقائد الإسلامية بما يتمشى مع الأحكام العقلية مخالفا منهج شيخ الإسلام ابن تيمية، وفى سبيل ذلك قام بتأويل المعجزات وخوارق العادات، وأنكر بعضها، إذ لم يكن قلب حقيقته بما يتمشى مع هذا البعد الفكرى.

رابعًا - خالف السيد رشيد رضا مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في كثير من الغيبيات كالملائكة والجن والسحر وغيره، وكان من الأولى عليه عدم الخوض في التفصيل، وتفويض علم ذلك إلى البارى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو المنهج الأسلم والأحكم وهو ما عليه شيخ الإسلام ابن تيمية، والله أعلم.

وبعد...

فهذا جهدى أقدمه مشفوعًا بحمد الله عَزَّوَجَلَّ على توفيقه وتيسيره وعونه، وكل ما فيه من صواب وسداد، فإنما هو من فضل الله عَزَّوَجَلَّ، وما فيه من تقصير فإنما هو غير مقصود منى، وحسبى أننى اجتهدت وأفرغت فيه طاقتى، والكمال لله وحده، وحسبي أيضًا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هُود: ١١٤].

والله أسأل أن يتقبل هذا العمل، ويجعله خالصا لوجهه الكريم، ولا يجعل للشيطان فيه حظا ولا نصيبا، وأن يجعله في ميزان حسناتنا، وأن ينفعنا به يوم الدين، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وصلى اللَّهُمَّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.. وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم جل من أنزله.

أولاً - مصادر البحث،

(أ) مؤلفات ابن تيمية (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن على بن عبد الله).

١- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق أ/ سيد عمران - دار الحديث، ط: ٢٠٠٣م.

٢- النبوات - تصحيح الشيخ محمد حامد الفقى، بدون.

٣- شرح العقيدة الأصفهانية - تحقيق وتعليق سعيد بن نصر بن محمد، مكتبة الرشد بالرياض ط: أولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٤- الفرقان بين الحق والباطل - تحقيق أ/ محمد أبو الوفا عيد - مكتبة بسام بالعراق ط. ١٩٩٠م.

(ب) مؤلفات السيد محمد رشيد رضا.

٥- الوحى المحمدى - ط. سادسة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

٦- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المنار، القاهرة، ط٢(١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م)

٧- تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده. دار المنار جـ ١، ط: ١ / ١٣٥٠ هـ، جـ ٢، ٣، ط. ٢ / ١٣٦٧ هـ.

٨- مجلة المنار - مطبعة المنار ط: ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م.

ثانياً - مراجع البحث

ابن أبى العز (أبو الحسن على بن علاء الدين بن شرف الدين)

٩- شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق: عبد الله التركى- شعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة، ط: ثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

ابن الأثير(أبى السعادات مبارك بن محمد).

١٠- جامع الأصول في أحاديث الرسول - تحقيق عبد القادر الأرناؤوط. - نشر مكتبة الحلوانى ومطبعة الملاح ودار البيان ١٣٨٩هـ.

ابن العربى (محمد بن عبد الله بن محمد)

١١ - عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى ط: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، بدون.

ابن القيم (محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد)

١٢- المنار المنيف في الصحيح والضعيف - تحقيق طه عبد الرؤوف - نشر دار مسلم، بدون.

ابن حجر(شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على)

١٣ - فتح البارى شرح صحيح البخارى - نشر دار الريان للتراث - ط: ٢ لعام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

ابن حزم(على بن أحمد بن سعيد)

١٤ - الفصل في الأهواء والملل والنحل- دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - طبعة أولى- ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م

ابن خلكان(شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبى بكر)

١٥ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر - بيروت - لبنان - ط: عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

ابن سينا (الحسين بن على).

١٦ - الشفاء في الإلهيات- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ١٩٨٢م.

١٧ - الإشارات والتنبيهات- دار المعارف بالقاهرة، ط: عام ١٩٧٥ .

ابن فارس (أبو الحسين أحمد)

١٨ - معجم مقاييس اللغة، طبعة دار الجيل - بيروت ١٩٩١م.

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم)

١٩- تأويل مشكل القرآن صـ ٤٨٩ وما بعدها، شرح ونشر أ/ السيد أحمد صقر، دار التراث بالقاهرة ط: ثانية ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

ابن كثير (الإمام إسماعيل بن عمرو القرشي أبو الفداء)

٢٠- البداية والنهاية - مكتبة المعارف - بيروت - ط: سادسة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٢١ - تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ط(١٤٠١هـ)

ابن منظور (الإمام محمد بن مكرم الإفريقي المصري)
٢٢ - لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١(د.ت)
ابن هشام (أبى محمد عبد الملك).
٢٣ - السيرة النبوية - تحقيق د/ أحمد حجازى السقا - ط: دار التراث ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
أبو شهبة (د / محمد)
٢٤ - دفاع عن السنة - مكتبة السنة القاهرة ط: أولى عام ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
الأشعري (الإمام على بن إسماعيل)
٢٥ - اللمع في الرد على أهل الزيغ - تحقيق وتعليق د/ محمود غرابة، ط: مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٥م.
الأشقر (د/ عمر سليمان)
٢٦- عالم الجن والشياطين، ط: دار النفائس ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
الأصفهاني (الإمام أبي القاسم الحسين بن محمد)
٢٧ - مفردات غريب القرآن، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، ط(د.ت)
الألبانى(محمد ناصر الدين).
٢٨ - سلسلة الأحاديث الصحيحة - المكتب الإسلامى بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة ١٩٨٥م.
الألوسي (شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسينى).
٢٩ - تفسير روح المعانى في تفسير القرآن العظيم- دار إحياء الكتاب العربى - بيروت
الآمدى (أبو الحسن على بن محمد بن سالم).
٣٠-الإحكام في أصول الأحكام- مطبعة محمد على صبيح وأولاده ط.أولى ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.
٣١ - أبكار الأبكار- تحقيق د/ محمد أحمد المهدى- دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة - ط: ثالثة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
٣٢ - غاية المرام في علم الكلام - تحقيق د/ حسن محمود الشافعى - ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩١هـ

الإيجى(عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد).
٣٣ – المواقف – مكتبة المتنبى – القاهرة بدون
البخارى(أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم).
٣٤ – الجامع الصحيح المختصر المسمى صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير – اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
البغدادى(عبد القاهر محمد بن طاهر).
٣٥– أصول الدين – ط: ثالثة، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨١ .
٣٦– الفرق بين الفرق – تحقيق وتعليق د/ طه عبد الرءوف سعد ط: البابى الحلبى بدون.
البوطى (د/ محمد سعيد رمضان).
٣٧– كبرى اليقينيات الكونية– دار الفكر ط٣لعام ١٣٩٤هـ
الباجورى(العلامة شيخ الإسلام إبراهيم الباجورى)
٣٨– تحفة المريد على جوهرة التوحيد – تحقيق الشيخ حسين مكى – ط: صبيح بالقاهرة ١٣٧٤هـ.
البيهقى (أحمد بن الحسين بن على بن موسى).
٣٩ – الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، تعليق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق – بيروت – ط: أولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
البيومى(د/ محمد مصطفى)
٤٠ – الجانب العقدى وأثره عند المجددين – رسالة دكتوراة مخطوطة بكلية أصول الدين بطنطا
الترمذي (الإمام محمد بن عيسى أبو عيسى).
٤١– الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(د.ت)
التفتازانى(سعد الدين مسعود بن عمر).
٤٢– شرح المقاصد – تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة – ط: أولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٤٣- شرح العقائد النسفية - مكتبة خير - آرام باغ كراجى - بدون.

التهانوى (محمد بن على القاضى)

٤٤- كشاف اصطلاحات الفنون- تقديم رفيق العجم- تحقيق د/ على دحروج- مكتبة لبنان، ط: أولى ١٩٩٦م

الجرجاني (الإمام علي بن محمد بن علي)

٤٥- التعريفات - مطبعة البابى الحلبى وأولاده ١٣٥٧هـ | ١٩٣٨ م.

٤٦- شرح المواقف- تقديم وتحقيق وتعليق د/ أحمد المهدى ط: ١٩٧٦م.

الجزائرى (أبو بكر الجزائرى)

٤٧- عقيدة المؤمن - تحقيق وتعليق سعيد بن نصر محمد ص ٢٦١، مكتبة الرشد بالرياض - ط: أولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

الجليند (د/ محمد السيد)

الوحى والإنسان قراءة معرفية - دار قباء ٢٠٠٢م.

الجوهرى (إسماعيل بن حماد)

٤٩- الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية»- تحقيق أحمد عبد الغفور ج٦ صـ ٢٠١٩وما بعدها - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ط٣- ١٤٠٤هـ/ ٢٠٠٢م

الجوينى (إمام الحرمين أبو المعالى عبد الله).

٥٠- الإرشاد -تحقيق وتعليق د/ محمد يوسف موسى، مكتبة الخانجى ١٣٦٩هـ.

٥١- لمع الأدلة - تحقيق د. فوقية حسين، راجع تحقيق د/ محمود الخضيرى-عالم الكتب- بيروت- لبنان- الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

حبنكة(د/ عبد الرحمن).

٥٢- العقيدة الإسلامية وأسسها - دار القلم بدمشق - ط: ثامنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

حجازى (د/ عوض الله)

٥٣ - المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم - رابعة دار الطباعة المحمدية - بدون

الحموى (ياقوت الحموى)

٥٤- معجم البلدان - دار صادر بيروت - ط: ١٩٧٩م.

الخطيب (د/ محمد أحمد)

٥٥ - دراسات في العقيدة الإسلامية- الطبعة السادسة لعام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

خفاجى (د/ محمود)

٥٦- في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة - ط: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

الخيالى

٥٧- حاشيته على شرح التفتازانى على العقائد النسفية - ط.البابى الحلبى وأولاده.

الدورى (د/ قحطان)

٥٨- مفهوم الوحى عند رشيد رضا - ضمن أبحاث الندوة العلمية التي عقدت في جامعة آل البيت صـ ٤٠، ط: ١٩٩٩م.

الذهبى (محمد بن أحمد بن عثمان)

٥٩- تذكرة الحفاظ - دار الفكر العربى ١٣٧٤هـ.

٦٠- سير أعلام النبلاء - تحقيق شعيب الأرناؤوط. بالاشتراك - ط: ثالثة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

الذهبي (د/ محمد حسين)

٦١- التفسير والمفسرون-مكتبة وهبة- القاهرة، ط: ٣ عام ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م.

الرازى (أبو بكر).

٦٢- مختار الصحاح - دار القلم بيروت - لبنان ١٩٧٨م.

الرازي (محمد بن عمر بن الحسين)

٦٣- الأربعين في أصول الدين - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الهند - الطبعة أولى عام ١٩٣٨م.

٦٤- معالم أصول الدين- تقديم طه عبد الرؤوف سعد- ط: مكتبة الكليات الأزهرية، بدون.

٦٥- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين - مراجعة وتقديم طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، بدون.

٦٦ - مفاتيح الغيب - دار الغد - ط: أولى١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

زالدين (د/ ولى زار بن شاة)

٦٧- الجن في القرآن والسنة - دار البشائر الإسلامية ط: أولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

الزرقانى (محمد عبد العظيم الزرقانى)

٦٨ - مناهل العرفان في علوم القرآن ج١ ص ٦٣، ط: الحلبى، بدون.

الزركلى(خير الدين)

٦٩- الأعلام - دار العلم للملايين ط: سادسة ١٩٨٤م.

الزمخشرى (الإمام أبو القاسم محمود بن عمر)

٧٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ج١ ص ٨٦ - المطبعة الأميرية ببولاق ط: ١٣١٨هـ.

سابق(فضيلة الشيخ سيد)

العقائد الإسلامية - دار الفكر - بيروت ط: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

السبكى

٧٢- طبقات الشافعية - تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحى - ط: أولى عيسى الحلبى وأولاده ط. ١٩٦٦م.

السفاريني (محمد بن أحمد بن سالم)

٧٣- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط٢(١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م)

السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر)

٧٤- الحاوى للفتاوى - ط: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٩٨٨م.

٧٥- الحبائك في أخبار الملائك- تحقيق مصطفى عاشور، نشرمكتبة القرآن بالقاهرة، بدون.

الشافعى (د/ حسن محمود)

٧٦- الآمدى وآراؤه، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، بدون.

الشهرستانى (محمد بن عبد الكريم بن أحمد)

٧٧- الملل والنحل - تحقيق د/ محمد سيد كيلاني - طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده.
الصابونى
٧٨ - عقيدة السلف وأصحاب الحديث - بدون.
صبري (الشيخ / مصطفي)
٧٩- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين - دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
الصعيدى- د/ (عبد المتعال الصعيدى)
٨٠- المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجرى- مكتبة الآداب بالقاهرة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
الطبرى
٨١- جامع البيان في تفسير القرآن - دارالمعرفة - بيروت ١٤٠٣ـ ١٩٨٣م.
الطحاوى (الإمام الطحاوى)
٨٢- العقيدة الطحاوية - عبد الجبار (قاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد بن خليل الأسد آبادى)
٨٣- المغنى في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق محمود الخضيرى، مراجعة د/ إبراهيم مدكور، بإشراف د/ طه حسين، طبعة دار الكتب المصرية عام١٣٨١هـ / ١٩٦٠م
٨٤- المحيط. بالتكليف، الدار المصرية بالقاهرة، بدون.
٨٥- شرح الأصول الخمسة- تحقيق د/ عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة - ط: ثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٨٦ - المختصر في أصول الدين (رسائل العدل والتوحيد)- تحقيق د/ محمد عمارة - دار الشروق ط: ثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٨٧- تنزيه عن المطاعن- دار النهضة الحديثة - بيروت - لبنان.بدون.عبد القادر (د/ محمد أحمد)
٨٨ - عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي - دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية لعام ١٩٨٥م.عبد الراضى (د/ وردانى)

٨٩- اتجاه المعتزلة ومنهجهم في التفسير - ط: ١٩٩٥م.عبيدات(د/ عبد الكريم نوفان)

٩٠- الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة - دار النفائس للنشر والتوزيع بالأردن ط: أولى ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م.عرجون (د/ محمد الصادق)

٩١- نحو منهج لتفسير القرآن - الدار السعودية للنشر بجدة - ط: أولى ١٣٩٢هـ.

العظيم أبادى(محمد شمس الحق)

٩٢- عون المعبود شرح سنن أبى داود - تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان - المكتبة السلفية - المدينة المنورة - الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.عمارة (د/ محمد)

٩٣ - مسلمون ثوار- دار الشروق - ط: رابعة١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

عياض (العلامة أبى الفضل عياض بن موسى)

٩٤- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى - ط: البابى الحلبى وأولّاده عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد)

٩٥- الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط: أولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٩٦- إلجام العوام عن علم الكلام - ط: المنيرية ١٩٥١م.فهد الرومى (دكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان)

٩٧ - منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، مؤسسة الرسالة، ط: ثالثة ١٤٠٧هـ

الفيروز آبادي (الإمام محمد بن يعقوب).

٩٨- القاموس المحيط، ط: البابى الحلبى وأولّاده - ثانية ١٩٥٢م.

الفيومى(أحمد بن محمد بن على).

٩٩- المصباح المنير- بيروت - لبنان ط: ١٩٨٧م.

القرضاوى(د/ يوسف القرضاوى)

١٠٠- فصول في العقيدة - مكتبة وهبة، ط: أولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

القرطبى (أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى).

١٠١- الجامع لأحكام القرآن- الجامع لأحكام القرآن- دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان ١٩٦٥م.

القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود)

١٠٢- عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات مذيلا على كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى- دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان ط: ثانية ١٩٩٩م.

الكتبى (ابن شاكر)

١٠٣ - فوات الوفيات - تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر بيروت - لبنان، ط: ١٩٧٤م.

كحالة (عمرو رضا)

١٠٤- معجم المؤلفين - دار إحياء التراث العربى بيروت، بدون.

الماوردي (على بن محمد حبيب البصرى)

١٠٥- أعلام النبوة:، تعليق الأستاذ / عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب بالجماميز ،بدون

محمد قطب

١٠٦- ركائز الإيمان- دار اشبيليا ط. أولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م.

محمد عبده (الأستاذ الإمام).

١٠٧ - الأعمال الكاملة - تحقيق وتقديم د / محمد عمارة - دار الشروق بالقاهرة، ط: ١ / ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م.

١٠٨- رسالة التوحيد - مطبعة محمد على وأولاده، ط: ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م.

محمود (الإمام الأكبر فضيلة الشيخ عبد الحليم)

١٠٩- الإسلام والعقل - دار المعارف: ط: ثالثة بدون تاريخ.

مدكور(د/ إبراهيم بيومى)

١١٠- في الفلسفة الإسلامية - منهج وتطبيقه- دار المعارف بالقاهرة، ط: ثانية ١٩٦٨م.

مسلم (الإمام بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري)

١١١- صحيح مسلم، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (د.ت)

مصطفى محمود (دكتور).

١١٢ - التفكير الفلسفى في الإسلام - ط. ثانية دار المعارف، بدون.

المقدسى(يوسف بن يحيى بن على بن عبد العزيز.)

١١٣- عقد الدرر في أخبار المهدى المنتظر- تحقيق د/ عبد الفتاح محمد الحلو، نشر مكتبة عالم الفكر ط: أولى ١٩٧٩م.

المناوى (محمد بن عبد الرؤوف).

١١٤- فيض القدير - المكتبة التجارية بالقاهرة - ط: أولى ١٣٥٦هـ / ١٩٣٨م.

موسى(د / تقي على).

١١٥ - الذرة - دار الشئون والثقافة العامة - بغداد، ط: ١ لعام ١٩٩٣م.

النسائي (الإمام أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن).

١١٦ - سنن النسائي الكبرى، تحقيق د/ عبد الغفار سليمان البنداري، سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: أولى لعام ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

نصار (د/ محمد عبد الستار).

١١٧ - أصول العقيدة الإسلامية - ط: ثالثة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

يوسف (د/ عبد العزيز تمام).

١١٨- السمعيات في العقيدة الإسلامية- دار الطباعة المحمدية ط: أولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.